

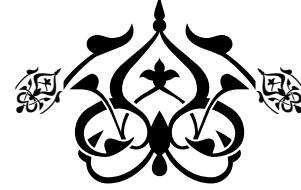
بِقَلْمِ
عَبْد الرَّغْنِي الْجَزَائِري

... وَلَكُنْهُ الشَّغْبُ الْمَعْوَدُ

وَلَا جَدِيدٌ!

الْأَكْلَمُ

لِتَنْشُرٍ عَلَى النَّسْمَةِ الدُّولِيَّةِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُحْفَوظَةٌ جَمِيعَ حَقُوقِ

م ٢٠١٣ هـ ١٤٣٤

النسخة المطبوعة (١)

الْأَكْرَاسُ

لِإِسَارَةِ الْنَّاشرِ ، يَرْمِزُ بِهَا مَا يُنْشَرُ؛ مَهْمَا كَانَ حَجْمُ وَمَوْضِعُ

للنشر على الشبكة الدولية

وأهمية النشر...

تنبيه!

بين يدي المقال

أَلَا فليعم كُلَّ قارئ وقعت عيناه على هذا المكتوب أو غيره! أَنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ أَتَحِيزَ لَأِيًّا
جَهَةً كَانَتْ عَلَى حِسَابِ جَهَةٍ أُخْرَى (شَهْوَة) - كَمَا يَظْنُنَّ أَوْ يَعْتَقِدُ بَعْضُهُمْ - مَنْ لَا يَعْرِفُنِي، أَوْ
عَرَفْنِي جَيِّدًا وَتَظَاهَرُ بِخَلَافِ ذَلِك؛ فَسَارَ سِيرًا حَثِيثًا يَنْتَقِمُ مِنِّي لِنَفْسِهِ وَلِدُعَاءِ صَارَ أَسِيرًا لَهُمْ
بِإِرَادَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلُ ذَلِكَ!

وَلَكِنِّي مَعَ الْحَقِّ فِي أَيِّ جَهَةٍ كَانَ، وَمَعَ مَنْ كَانَ - مُتَخَطِّي الْحَدُودِ الْجُغرَافِيَّةِ -، غَيْرِ مَقِيدٍ
وَلَا مُلَزِّمٌ إِلَّا بِالْحَقِّ، أَنْصَرُ أَهْلَهُ بِمَا اسْتَطَعْتُ إِلَى ذَلِكَ - مَا هُوَ مُتَاحٌ - وَلَوْ بِالْكَلْمَةِ الطَّيِّبَةِ،
أَقُولُ هَذَا لِمَنْ أَرَادَ الْحَقَّ وَبَحْثَ عَنِ الْحَقِيقَةِ بِتَجَرِّدٍ وَصَدَقَ؛ «فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ إِلَى الْأَخْذِ
بِالْحَقِّ حَيْثُ كَانَ وَمَعَ مَنْ كَانَ وَلَوْ كَانَ مَعَ مَنْ يَبغِضُهُ وَيَعْادِيهِ، وَرَدَ الْبَاطِلَ مَعَ مَنْ كَانَ وَلَوْ كَانَ
مَعَ مَنْ يَحْبِبُهُ وَيَوْالِيهُ؛ فَهُوَ مِنْ هُدِيٍّ لَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ»^(١).

وَهَذَا هُوَ الْاِنْصَافُ الْمُفْقُودُ فِي عَصْرِنَا، وَالَّذِي نَنْشَدُهُ فِي بَنِي قَوْمِنَا بِقُوَّةِ...
كَيْفَ لَا؟ «وَاللَّهُ قَدْ أَمْرَنَا أَلَا نَقُولُ عَلَيْهِ إِلَّا الْحَقَّ وَأَلَا نَقُولُ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَأَمْرَنَا بِالْعَدْلِ
وَالْقَسْطِ؛ فَلَا يَحْجُوزُ لَنَا إِذَا قَالَ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصَارَىٰ - فَضْلًا عَنِ الرَّافِضِيِّ - قَوْلًا فِيهِ حَقٌّ أَنْ نَنْتَرِكَهُ أَوْ
نَرْدَهُ كُلَّهُ، بَلْ لَا نَرْدُ إِلَّا مَا فِيهِ مِنَ الْبَاطِلِ دُونَ مَا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ»^(٢).

(١) «الصواعق المرسلة» لابن القيم (٥١٦/٢).

(٢) قاله ابن تيمية، انظر «منهاج السنة النبوية» له (٣٤٢/٢).

وإنما نخطئ المقوله وصاحبها ونردها عليه دون جنف أو تحريف، ونُصوّبُها إن وافقت الحق والشرع الحنيف؛ مجردة عن: العواطف معه، والمثبتات منه، والصوارف عنه؛ إنما ندور مع الحق وبه نصول كما قال العالمة ربيع بن هادي -حفظه الله-: «أنصح المتصرّفين للتربية والتعليم أن يربّوا تلاميذهم على هذا المنهج، وعلى محبة كل سلفي في مشارق الأرض ومغاربها، وألا يتعصّب لشيخه أبداً...»

الرسول يُتعصّب لشخصه لأنّ الحق يدور معه إنما دار، والصحابة يُتعصّب لهم لأنّهم يدورون مع الحق إنما دار... وإذا دُرْت مع الحق فستجده عند أهل السنة إذا اجتمعت كلمتهم وتخلّصوا من الأهواء...»

لو أخطأ ابن باز وابن تيمية ونقده أحد بحق فلا تغضب، انتقده بعلم وبحجّة ويريد وجه الله -عزّ وجلّ-؛ لا تقول هذا -والله- يتكلّم عن ابن باز وابن تيمية -إذا كان بحق وبأدب واحترام-! لأنّ الهدف ربط الناس بمنهج الله، ولا نربطهم بأخطاء البشر -كائنا من كان- حتّى لو أخطأ صاحبي ما نقبل خطأه...»^(١).

... وإلا لا بتغينا الحق مجردا عن حقيقته، ولسلكنا غير سبيله نطلبها؛ فمتى كان نشر الدعوة، ونصر التوحيد والسنة بها هو مخالف للدعوة نفسها؟!
فهل رأيت من يُطهّر صديداً جُرح بِسُمّ، أو سمعتَ بمن يعالج الرّبو بالتدخين وشيء من الأفيون؟!

كلا!

إذاً، فليتبّه لهذا فإنه مهمٌ بيأه قبل البدء في المقال.

(١) فرغته من شريط «شرح كتاب الإيمان -من صحيح البخاري-» المسجل في شهر رجب سنة ١٤٢٦هـ.

سبع لـ الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّنا المعبود، والشُّكرُ له على مَنْه وكرمه غير المحدود.
والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبِيِّنا محمدٍ صاحِبِ الحوض المورود والمقام المحمود، وعلى آله
وأصحابِه وإخوانِه ما غرَّد قمريٌّ وأورقَ عُود.

أَمَا بَعْدُ:

لقد أوقفني أحد إخواني على المقال المعنون له: «البخاري ليس منكر الحديث» لكاتبه الراحي؛ فوقفتُ أقرأه وما إن انتهيت منه - وسلم الله من ذرع الـ...! - إلا وقد خلصتُ بهذا الأخ المتهور يرفل في كلامه ويركض سالكاً جادة الحماسين، ومن ثم انكشفَ مستوى فهمه المتدهور حاسراً وهو يرفضُ عقله بقدميه الذي منه انطلق يُسفه إخوانه، وما زال يركض! الحال كذلك، وإذا بأخِر زفراطه مصحوبة بحسراته فيما سيبدو عليه لنا بعد الفرحة العارمة التي انتابته أوّلا.

ولain شعرت -أيها الأخ الراحي- بحالك -وأنت عن علم الحديث ومصطلحه بمعزل؛ بيان ذلك أتركه لفاروق فأنت عنده ضيف وأحقُّ بأن تكرم، بل اعتبره الضيف وأنت رب المنزل -عندما تخبطُ خبط عشواء وتنتصر للدكتور عبد الله البخاري -وفقه الله للتراجع -بها لا تضر تحطّته لغيره في المسألة المثارـة، وهي خارجة عن محل النزاع، بقدر ما يضر الدكتور طعنـه على

علامـة الـيـمن وـهـو يـرمـيـه وـطـلـابـه بـفـكـرـ الـخـوارـجـ!

فـانتـبهـ هـذـه حـيـدة منـكـ!ـ وـارـجـع إـلـى مـنـاقـشـة ماـفـاهـ بـه الـبـخـارـيـ روـاـيـةـ عنـ عـرـفـاتـ

الـبـصـيرـيـ منـ رسـالـتـه «الـبـيـانـ الفـورـيـ!ـ» وـإـن لـم يـصـرـحـ.

وـإـنـي لـأـتعـجـبـ غـاـيـةـ الـعـجـبـ كـيـفـ يـعـتـمـدـ فـي روـاـيـتـه الـأـخـبـارـ عنـ مـنـ «صـارـ منـ أـجـلـهـ (سـمـرـيـاـ)ـ...ـ وـجـلـ الـاسـتـدـلـالـاتـ مـنـهـا كـأـحـادـيـثـ السـمـارـ لـا يـهـمـ السـامـرـ صـدـقـاـ كـانـتـ أـمـ كـذـبـاـ،ـ وـعـنـ الدـلـيـلـ فـالـذـي يـسـوـقـهـ نـصـفـ لـيـسـ لـهـ،ـ وـنـصـفـ عـلـيـهـ...ـ يـنـشـرـهـاـ عـنـ طـرـيـقـ الـفـظـاظـةـ وـالـمـجاـهـرـةـ،ـ وـالـسـرـفـ وـالـمـناـكـدـةـ؛ـ لـأـنـهـ فـي إـقـلـيمـ يـسـمـحـ لـهـ بـذـلـكـ،ـ وـالـتـلـمـيـذـ تـحـتـ وـطـأـةـ الـإـقـلـيمـ،ـ وـالـعـيـشـ الرـغـيدـ،ـ يـنـشـرـهـاـ بـكـلـمـاتـ يـلـفـ حـبـلـهاـ عـلـىـ غـارـبـهـاـ عـنـ طـرـيـقـ النـقـلـ المـجـرـدـ»ـ^(١)ـ!

وـماـ ظـنـنـتـ قـبـلـ -ـ أـنـ يـكـونـ مـنـ ذـلـكـ شـيـءـ حـتـّـيـ رـأـيـتـ الدـكـتـورـ الـبـخـارـيـ فـعـلـ -ـ رـاوـيـاـ عـنـهـ بـثـقـةـ فـيـ نـفـسـهـ -ـ فـذـكـرـنـيـ بـعـدـ -ـ بـإـمـامـ أـهـلـ السـنـةـ فـيـهـاـ نـقـلـهـ عـنـ شـيـخـ الـإـسـلـامـ بـقـوـلـهـ:ـ «ـوـقـالـ إـلـيـمـأـمـ أـحـمـدـ فـيـ هـذـاـ الـكـلـبـيـ:ـ مـاـ ظـنـنـتـ أـنـ أـحـدـاـ يـحـدـثـ عـنـهـ،ـ إـنـمـاـ هوـ صـاحـبـ سـمـرـ وـشـبـهـ»ـ^(٢)ـ.

وـكـذـلـكـ ذـكـرـنـيـ حـالـ الدـكـتـورـ هـذـاـ بـمـاـ قـالـهـ أـبـوـ زـرـعـةـ الرـازـيـ -ـ مـجـيـباـ سـائـلـهـ عـنـ حـالـ عـمـرـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ أـبـيـ خـثـعـمـ:ـ «ـوـاهـيـ الـحـدـيـثـ،ـ حـدـثـ عـنـ يـحـيـىـ بـنـ أـبـيـ كـثـيرـ ثـلـاثـةـ أـحـادـيـثـ؛ـ لـوـ كـانـتـ فـيـ خـمـسـمـائـةـ حـدـيـثـ لـأـفـسـدـهـاـ»ـ^(٣)ـ!

قـلـتـ:ـ مـاـ أـبـعـدـ مـاـ بـيـنـ صـاحـبـ الصـحـيـحـ (ـالـبـخـارـيـ)،ـ وـالـدـكـتـورـ الـذـي يـرـوـيـ عـنـ صـاحـبـ «ـالـبـيـانـ الفـورـيـ»ـ!ـ وـمـاـ أـقـوـيـ وـأـقـرـبـ الشـبـهـ فـيـ حـالـ كـلـبـيـهـمـ الـقـدـيـمـ بـحـالـ بـصـيـرـيـنـاـ الـمـعاـصـرـ!!ـ فـالـحـكـمـ هـوـ الـحـكـمـ وـلـاـ كـرـامـةـ.

(١) من «براءة أهل السنة» للشيخ بكر.

(٢) « منهاج السنة » (٥ / ٨٢).

(٣) « سؤالات البرذعي » (٢ / ٥٤٣).

...ولكنه الشغب المعهود ولا جديـد!

٧

وبهذا الفعل من صاحب المقال ومنه بالذات لم أستغرب -حقيقةً- بقدر ما استغربتُ من عليه علّق (أبو عمر أسامة العتيبي)؛ مستحسناً صنيعه بمباركةٍ مقاله والدعاء له، ثم انهال مجهاً لطالب علم وقادِحًا فيه (الأخ فاروق) واصفاً إياه بـ: «الدعى الجھول!» وهو لا يعرف حاله، وإن كان هو الآخر يعرفُ يوم وجدهُ (...!) بمكة وقد تصافحا ورحب به وبرفيقه، وكان إبداء ترحيبه إذ ذاك لتدارُكِ ما رآه عليه من حالة كرهها أبو عمر لنفسه!

ولتعلم -يا أبو عمر- أنَّ الأخ فاروق يُعتبرُ: «المقدَّم على أضرابه وأشكاله» -كما شهد ابن كثير للإمام النسائي، والعبارة بعموم اللفظ- من في سنّه وبلدته فيها نحسبه والله حسيبه.

أَدْكُرُكَ -يا أبو عمر- عندما قُلتَ: «المُشكلة أنَّ بعض النَّاس يتسبُّ للسلفية لكن عنده هوى.

يكون جاهلاً ويريد أن يصف جميع طلبة العلم بأنَّهم ليسوا شيوخاً! وهذا من الطيش، ومن بقايا ورواسب بِدعَيَة عند بعض الشَّباب.

يعني: هم يخافون مِن ترئيس أو تعظيم بعض طلَّاب العلم؛ فيخافون مِن انقلابهم... هكذا يزعم بعضهم؛ فيظلمونهم ويصفونهم بغير أوصافهم، وهذا من الجهل والضلالة الموجود عند بعض الشَّباب المُتنَسِّين إلى السنة -للأسف!-؛ فهو في غيرهم أكثر.

لكن أقول [أبو عمر!]: هذا مرضٌ موجود [في] بعض الشَّباب! ومنهج أهل السنة برئ مِن هذا المرض.

فأهل العلم تُحفظ لهم كرامتهم سواء كانوا طلَّاب علم، سواء كانوا علماء، سواء كانوا أكابر العلماء؛ لأنَّ الناس -في الأصل- على ثلاث طبقات: الطبقة الأولى منهم: طبقة المقلدة، الطبقة الثانية: وهو طبقة الاتّباع ومعرفة الدليل، الطبقة الثالثة: العلماء...

... ولكن الشّباب المعهود ولا جديـد!

كُلُّهم بلا استثناء يحترمون طلَّاب العلم ويعرفون قدرهم... ثُمَّ يأتي بعض الشَّباب ويريد أن يطعن في طلَّاب العلم، وأن يخترِقْ حقَّهم، وأن يزعم أَنَّهُم ليسوا من كبار العلماء؛ فإذاً هم مثلهم مثل بقية الشَّباب!! هذا من السَّفه والطَّيش، ومن مسلك أهل الْبَدَع، ومن مسلك الخوارج (أهل الجفاء)؛ أمّا أهل السنة فيحفظون منزلة العلماء، ويحافظون على طيبة العلم.

كذلك من مسلك المتصوفة وسلك أهل الأهواء الغلو في طيبة العلم والعلماء! ورفع الناس فوق منازلهم. لذلك فَنَحْنُ نُحارِبُ الغلو والإفراط والتَّغْرِيْط، نريد أن نَسِيرَ على الوسطية، على العدل^(١)... أنا رأيت من شيخنا (الشيخ ربيع) الحث على الاستفادة من طلَّاب العلم، واحترام طلَّاب العلم، وتشجيع طلَّاب العلم، بخلاف بعض الشَّباب الجُفَاه الذين تشبهوا بمنهج الخوارج والحدادية...

لذلك أنا أوصي الشَّباب، أوصي طلَّاب المعهد، أوصي السَّلفيين في كل مكان: بأن يعرفوا حقوق طلَّاب العلم وأن يحترموهم وأن يُحِلُّوْهُم، وألا يغلوا فيهم. يعني: يُنزلوْهُم منزلتهم الشرعية وحبّهم...^(٢)^(٣).

لم يقف استغرابي هنا؛ بل زادَ لِمَا رأيْتُ ما قالَه أبو عمر -مختارا- في ثورةٍ فريدةٍ مِنْ نَوعِها، لم أعهد لها صدرت منه -فيما علِمْتُ- يُنْشِرُ القدح كالبَذْرُ في أرض فلاة: «في زمانِ الشيخ مقبل رَحْمَةُ اللهِ كَانَ ذَلِكَ الْعَالَمُ الْهَمَامُ يوجِّهُهُمْ، ويرشدُهُمْ، ويتوافقُ مع علماءِ السنة، ويتراجعُ عن خطئه، ويبْرُئ ذمته، لأنَّه مهتم بنصرةِ الحقِّ، ومن يعبد الله ويُدعُو إليه على بصيرة فيها نحسبه، وشهد له به العلماء...»

(١) (٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهج السنة» (٤ / ٥٤٤): «ومن سلك طريق الاعتدال: عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظِّم الحق ويرحم الخلق».

(٣) فرغْتُهُ من جواب على سؤال أحد الليبيين له.

أما بعد موت الشيخ رحمـ الله، وسلط الحجوري الفاجر عليهم؛ فقد عمل الحجوري وحجاته الصـماء من يظن به طلب العلم، بكل جـد وكمـ على نشر ما عنده من: قلة أدـب، وسوء أخـلاق، وسفـاهة، وظلم، وبغي وعدوان، بل وقع في البدـعة تلو البدـعة، والخطـأ تلو الخطـأ ولا يستكـين لـحق، ولا يرجع عن باطل، ولا يفـيء إلى صواب إلا ما ندر، مع عنـجهـية، ومـكـابـرة،
وغرور، وتعـالـم، وخـفـفة، وقلـة حـيـاء...

فـنـعـوذ بالـله منـ الـبـاطـلـ وأـهـلـهـ، وـمـنـ أـوـلـتـكـ الـحـجاـوـرـةـ الـحـجاـرـةـ الصـماءـ، وـنـسـأـلـ اللهـ أـنـ يـطـهـرـ
الـبـلـادـ وـالـعـبـادـ مـنـهـمـ [!!]ـ، وـمـنـ فـتـتـهـمـ الـعـمـيـاءـ الصـماءـ...
وـالـلـهـ الـمـسـتعـانـ.

والـشـيـخـ الفـاضـلـ العـلـامـةـ [!]ـ عـبـدـ اللهـ الـبـخـارـيـ مـنـ عـلـمـاءـ السـلـفـيـنـ الثـقـاتـ، الـذـيـنـ شـهـدـ لـهـمـ
أـهـلـ الـعـلـمـ بـالـعـلـمـ وـالـفـضـلـ...ـ اـهـ المرـادـ.

قدـ قـيلـ مـاـ قـيلـ؛ إـنـ صـدـقاـ وـإـنـ كـذـباـ فـمـاـ اـعـتـذـارـكـ مـنـ قـوـيـ إـذـاـ قـيـلاـ؟ـ!
وـأـذـكـرـكـ بـجـوـاـبـكـ -ـ قـبـلـ قـوـلـكـ هـذـاـ -ـ عـلـىـ سـؤـالـ كـنـتـ سـئـلـتـهـ، وـنـسـرـ بـعـدـ فـيـ مـنـدـاـكـ «ـمـنـابـرـ
الـنـورـ»ـ:

الـسـائـلـ: وـتـبـرـأـ مـاـ يـفـعـلـهـ الشـيـخـ يـحـيـيـ الـحـجـورـيـ بـأـسـلـوبـ شـتـائـمـهـ الشـهـيرـ، وـالـذـيـ أـصـبـحـ
يـظـهـرـ الدـعـوـةـ السـلـفـيـةـ بـأـنـهاـ دـعـوـةـ شـتـائـمـ كـمـ ثـبـتـ ذـلـكـ عـنـهـ فـيـ أـشـرـطـةـ بـصـوـتـهـ؟ـ
الـجـوابـ: لـمـ أـسـمـعـ شـبـئـاـ مـنـ تـلـكـ الـأـشـرـطـةـ، وـلـكـ أـخـبـرـنـيـ عـنـهـ بـعـضـ الـإـخـوـةـ، وـالـخـطـأـ
مـرـدـوـدـ مـنـ أـيـ شـخـصـ كـانـ سـوـاءـ كـانـ الشـيـخـ يـحـيـيـ الـحـجـورـيـ أـوـ غـيـرـهـ...ـ
وـلـقـدـ التـقـيـتـ بـهـ فـيـ الـحـجـ قـبـلـ ثـلـاثـ سـنـوـاتـ فـوـجـدـتـهـ شـيـخـاـ فـاضـلـاـ مـتـمـكـناـ عـنـهـ حـافـظـةـ
قوـيـةـ...ـ

... ولكن الشفب المعهود ولا جديـد!

والشيخ رجـاع إلى الحق، فإذا أخطـأ ونـوصح فإـنه يقبل النـصيحة حـسب ما أعلـمه مـن
الـشـيخ.

أسـأل الله أـن يوفـقه ويـسـدـده وـيلـهمـه الـحـق وـالـصـواب عـلـى الدـوـام... وـالـله أـعـلـم، وـصـلـى الله
وـسـلـمـ عـلـى نـبـيـنـا مـحـمـدـ» اـهـ.

وعـين الرـضا عـن كـلـ عـيـبـ كـلـيلـةـ وـلـكـنـ عـينـ السـخـطـ تـبـدـيـ المـساـواـيـاـ
فـإـنـ قـالـ قـائـلـ: لـمـ تـغـيـرـ حـالـ المـطـعـونـ فـيـ الـآنـ (ـالـحـجـورـيـ) بـيـنـ السـابـقـ وـالـحـاضـرـ؛ تـغـيـرـ قـولـ
أـبـيـ عـمـرـ إـلـىـ ضـدـ مـاـ كـانـ قـدـ قـالـهـ بـنـفـسـ الـوـتـيرـةـ!
فـأـقـولـ: إـنـ كـانـ هـذـاـ التـغـيـرـ فـيـ قـولـ أـبـيـ عـمـرـ اـسـتـنـادـاـ لـغـيـرـ مـاـ أـخـرـجـهـ عـرـفـاتـ فـيـ صـحـيـحـهـ
ـالـبـيـانـ الـفـورـيـ!ـ!ـ فـأـيـنـ هـوـ وـمـاـ هـوـ؟ـ!

وـأـمـاـ إـنـ كـانـ تـغـيـرـ قـولـهـ (ـإـلـىـ ضـدـ قـولـهـ!) حـاـصـلـ بـهـذـاـ الـبـيـانـ -ـوـأـجـدـرـ أـنـ يـوـسـمـ بـ: «ـكـتابـ
ـالـعـارـ»، أـوـ «ـرـسـالـةـ الـخـيـانـةـ»ـ -ـ وـهـوـ كـذـلـكـ، لـمـ ظـهـرـ فـيـ بـعـضـ رـدـوـدـهـ الـأـخـيـرـةـ بـتـلـكـ الـتـعـلـيقـاتـ هـنـاـ
ـوـهـنـاكـ؛ فـلاـ جـدـيدـ وـلـاـ جـدـوـيـ مـنـ إـعادـتـهـ هـنـاـ، فـمـاـ قـيلـ لـلـدـكـتـورـ قـبـلـهـ فـلـيـقـتـسـمـهـ مـعـهـ بـالـسـوـيـةـ فـإـنـهـ
ـيـكـفيـهـماـ وـزـيـادـةـ!

وـأـتـبـعـ إـخـوـاـنـاـ بـعـدـهـ، مـنـ لـكـاتـبـ الـمـقـالـ صـدـقـ يـعـلـقـ، خـاصـةـ وـأـنـهـ بـتـعـلـيقـ أـبـيـ عـمـرـ فـيـ نـظـرـهـ
ـقـدـ وـثـقـ، بـلـ وـكـأـنـ بـعـضـ الـشـبـابـ رـاحـ يـصـفـقـ، وـلـكـنـ حـجـزـهـ مـنـ إـبـدـاءـ ذـلـكـ أـمـامـ الـرـجـالـ أـنـهـ مـمـاـ
ـخـُـصـّـتـ بـهـ النـسـاءـ!

إـنـ هـذـاـ هـمـرـاءـ عـنـدـمـاـ يـطـيرـ فـيـ الـمـوـاءـ كـالـهـبـاءـ لـخـفـةـ وـسـخـفـ مـاـ فـيـهـ!
ـوـهـذـاـ مـاـ نـعـاهـ عـلـىـ صـاحـبـ الـمـقـالـ وـالـمـعـلـقـيـنـ بـعـدـهـ -ـأـوـ قـلـ: الـمـعـلـقـيـنـ تـحـتـهـ!ـ -ـ حـيـثـ إـنـ مـاـ
ـخـطـهـ لـمـ يـعـدـ أـنـ كـانـ كـخـطـٌـ فـيـ تـرـابـ لـوـ نـفـخـتـ عـلـيـهـ بـفـيـكـ لـعـفـيـ أـثـرـهـ!

وإننا لم ننسَ أن تجُرّ ذيلَ اللّوم فرثيَ لأنّاسٍ خدعوا مرات كثيرة -من القراء- حتى صاروا من المخدوعين! بما يراه أكثرهم في منابر شتىٰ ممّن ظنَّ أنّا نتأثّرُ بتأسّفهم على حالنا لتغييرنا -في نظرهم الآفل- كما كان حالمٌ قوبلوا بنفس الفعل؛ فأعلنوا التوبّة من جهةٍ لاستجلاب الثناء الضائع، وأعلنوا الفجور في الخصومة^(١) مع مَن كانوا -الطرف الآخر- للسبب ذاته.

كما تتابعتُ ألفاظ بعض المراهقين -مِنْ تجاوز مرحلة المراهقة (سِنًّا)، وتأخرت معه (المرحلة)! قليلاً- في حقِّ أخيهم عبد الغني تقنيصاً واحتقاراً لما ظهر من طيشهم الفاحش وإفلاتهم من العلم والحلم -جيئاً-، ومن ذلك وسُمه على سبيل المثال بـ: «متعالم»، «صغير مغمور»، «معتوه»، «جوهيل»، «تالف»، «غارق في التّعصب»، و«غرّ»... ووصفُ مشاركاته -كما فاه أحدُ المراهقين الجدد- بـ:

«لا يحسن إلا وضع النقول والعزو...»^(٢).

«يدّعي محاربة التعصب ويضرب السلفيين بـ: (التذكرة والتّبصرة)»^(٣).

(١) «إذا خاـصـمـ فـجـرـ» أي: مال عن الحق وقال الباطل والكذب. قال أهل اللغة: وأصل الفجور الميل عن القصد». قاله النروي في «شرحه على صحيح مسلم» (٤٨).

(٢) على فرض أنّي لا أحـسـنـ إـلـاـ هـذـاـ؛ أليس من بركة العلم نسبة الفائدة لصاحبها؟ وهذا ينفي التعلم المزعوم بالتصدر عن العلماء، وهل أنا إلا ناقل لكلامهم! لو أنّي لم أعزُّ لـقـيلـ: سرقـةـ علمـيـةـ!

إـنـهـ التـناـقـضـ وـإـلـاـ لـمـ كـانـ الطـعنـ منـ جـهـةـ يـحـصـلـ مـنـهـ المـدـحـ -ـفـيـ الأـصـلـ- عـنـ العـقـلـاءـ، وـلـكـنـ صـدـقـ القـائلـ: «إـرـضـاءـ [جـمـيعـ] الـنـاسـ غـاـيـةـ لـأـتـدـرـكـ».

(٣) هذه التي أوجعت القوم! فجعلت حالة الاستنفار تلك بين المقلدين (العوام) ما يُشيرُ الدهشة والاستغراب؛ حيث أسفرت بها سبق -طيلة هذه الشهور- من التعدي والإذية وما هو حاصل خيرٌ شاهد، أمّا ما سيكون -إن مدّ الله في العمر في ما نستقبلُ - فعلمُه عند ربِّي.

ولهذا الصّنف الذي يُعاني منه إخوانهُ أهدى هذه الفائدة بياناً لـهـمـ عليهـ، وما يجـبـ أنـ يكونـواـ عـلـيـهـ، عـنـ أـهـلـ الـحلـ =

...ولكنه الشغب المعهود ولا جديـد!

= وأصحاب الشأن؛ قال العلامة المحقق أبو إسحاق الشاطئي رحمه الله في «الاعتصام» (١/٢٦٦-٢٧٥ و٢٧٨):
«وهو - أي: المقلد - الذي لم يستنبط بنفسه، وإنما اتبع غيره من المستبطنين، لكن بحيث أقر بالشبهة واستصو بها، وقام
بالدعوة بها مقام متبعه؛ لانقادها في قلبه، فهو مثل الأول وإن لم يصر إلى تلك الحال، ولكنه تمك حب المذهب من قلبه
حتى عاد عليه ووالى.

وصاحب هذا القسم لا يخلو من استدلال، ولو على أعم ما يكون، فقد يلحق بمن نظر في الشبهة وإن كان عاميا؛ لأنه عرض للاستدلال وهو علم أنه لا يعرف النظر ولا ما ينظر فيه...

فإنهم -أي: العوام- متبعون لما تقرر عند علمائهم؛ لأنه فرضهم، فليسوا بمتابعين للماشية حقيقة، ولا هم متبعون للهوى، وإنما متبعون ما يقال لهم كائناً ما كان، فلا يطلق على العوام لفظ «أهل الأهواء»، حتى يخوضوا بأنظارهم فيها، ويحسنوا ب النظر فيهم ويفسروا.

و عند ذلك يتبع للفظ «أهل الأهواء» و «أهل البدع» مدلول واحد، وهو أنه من انتصب للابتداع ولترجميحة على غيره، أما أهل الغفلة عن ذلك، والساكرون سبل رؤسائهم بمجرد التقليد من غير نظر؛ فلا.

فحقيقة المسألة أنها تحتوي على قسمين: مبتدع ومقتدٍ به.

فالمقتدي به؛ كأنه لم يدخل في العبارة بمجرد الاقتداء؛ لأنَّه في حكم المتبوع.

والبائع هو المخترع، أو المستدل على صحة ذلك الاختراع، وسواء علينا أكان ذلك الاستدلال من قبيل الخاص بالناظرين في العلم، أو كان من قبيل الاستدلال العامي؛ فإن الله سبحانه ذم أقواما قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا مَا يَأْتِي مَّوْلَانَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ إِذْنِهِ بِهِمْ مُفْتَدِرُونَ﴾، فكأنهم استندوا إلى دليل جلي، وهو الآباء، إذ كانوا عندهم من أهل العقل [والنظر]، وقد كانوا على هذا الدين، وليس إلا لأنه صواب، فنحن عليه؛ لأنه لو كان خطأً لما ذهبوا إليه.

وهو نظير من يستدل على صحة البدعة بعمل الشيوخ ومن يشار إليه بالصلاح، ولا ينظر إلى كونه من أهل الاجتهاد في الشريعة أو من أهل التقليد، ولا كونه يعمل بعلم أو بجهل.

ولكن مثل هذا يعد استدلالا في الجملة؛ من حيث جعل عمدة في اتباع الموى واطراح ما سواه، فمن أخذ به فهو أخذ بالبدعة بدليل مثله، ودخل في مسمى أهل البدعة، إذ كان من حق من كان هذا سببـه أن ينظر في الحق إذ جاءه، ويبحث عنه، ويتألم، ويأسأ، حتى يتبيّن له فيتبعه، وبالباطل، فيجتنبه.

ولذلك قال تعالى رداً على المحتججين بها تقدم: ﴿قُلْ أَوْلَوْ جِنْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ إِكَاءً كَرِكَ﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَالْأُولَئِكَ بَلْ شَيْءٌ مَا أَفْتَنَاهُ عَنْهُ إِبَاءً نَّا﴾، فقال تعالى: ﴿أَوْلَوْ كَانَ إِبَاكَأَوْهُمْ لَا يَعْقِلُونَكَسْتَأَوْلَا﴾

... ولكن الشغب المعهود ولا جديـد!

١٣

«يُظْهِر لَبَوْسَ السَّنَة»^(١).

و«يَتَسَلَّط بِكُلِّ وَقَاهَةٍ وَفَجُورٍ وَخَسْهَةٍ عَلَى ... الْبَخَارِي»^(٢).

... وغيرها، ويكتفي من الكثير هذا القليل!

قلتُ: لقد «صاغ هذا الأخ [وغيره] جملةً مفيدة!» ترجم بها لنفسه من غير طلب؛ وصفَ فيها مستواه العلمي، وأبان عن خُلُقه، وكشف عن نفسه وأنه لم يَعُدْ أنْ كان رقَّاً مُهَمَّلاً من أرقام تلك القائمة الطويلة المرفوع على رأسها: أسماء المُتعصّبين الناجحين، والمختومة في أسفلها بختام عمادة المُقلّدين!

بَيْنِي وَبَيْنِ لَئَامِ النَّاسِ مَعْتَبَةٌ
مَا تَنْقِضِي وَكَرَامُ النَّاسِ إِخْوَانِي
إِذَا لَقِيْتُ لَئِيمَ الْقَوْمِ عَنَّفْنِي
وَإِنْ لَقِيْتُ كَرِيمَ الْقَوْمِ حَيَّانِي
إِذَا، فَلَا عَجْبٌ مِنْهُ وَمِنْ شَاكِلَهُ بَعْدَ الْيَوْمِ.

= يَهَدُونَ ﴿٤﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابٍ أَلِئَابٍ﴾ ... وأمثال ذلك كثير. وعلامة من هذا شأنه أن يرد خلاف مذهبة بما عليه من شبهة دليل تفصيلي أو إجمالي، ويتعرض لما هو عليه؛ غير ملتفت إلى غيره، وهو عين اتباع المحوى، وإذا ظهر اتباع المحوى فهو المذموم حقاً، وعليه يحصل الإثم، فإن كان مسترشداً، مال إلى الحق حيث وجده، ولم يرده، وهو المعتاد في طالب الحق، ولذلك بادر المحققون إلى اتباع رسول الله ﷺ حين تَبَيَّن لهم الحق.

قلتُ: قال شيخ الإسلام -كما في «مجموع الفتاوى» (٧١/٧)، ومواضع أخرى ما في هذا المعنى-: «ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه».

(١) يعني على حد هذا القول: أنّ الأصل في آني مُبتدع! أو مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة، وإنما أنا مُتّسّر، مُبطن خلاف ما أُخْلِهُ.

(٢) أقول -تنزلاً-: إن كان هذا حصل حقيقة؛ فهل الدكتور البخاري يوصف بهذا لما نالت سهامه العلامة مقبلًا؟ خاصة وأنه البادي والبادي أظلُمُ؟!
أم أن لحم الدكتور مسموم، ولحم مقبل شهي لذيد؟!!

...ولكنه الشغب المعهود ولا جديـد!

واغفر عوراء الکریم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تکرّما»^(۱).

قال -تبارك وتعالى-: ﴿وَقُلْ لِعَبَادِي يَقُولُوا أَلَّا تَهِي أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَعُ بِنَّهْمَةٍ إِنَّ

الشَّيْطَانُ كَانَ لِلْأَنْسَنِ عَدُوًّا مُّبِينًا [الإسراء].

هَبْنِي أَسَأْتُ كَمَا زَعْمَتْ فَأَيْنَ عَاطِفَةُ الْأَخْوَةِ؟

أو إن أسماءُ كَمَا أَسْمَاتَ
فَإِنْ فَضَّلْتَ وَالْمَرْوَةَ؟!

وإنّه ليجمّل بإخواني الشباب أن يعلّموا أن: «تبديل الأسماء لا يوجّب تبديل الأحكام والحقائق»؛ إذًا ليوفر أولئك المراهقون (المتساقطون) على أنفسهم الجهدَ والوقتَ المبذول في تحصيل الإثم.

قال - سبحانه - : ﴿سَنَّكُتُبْ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران: ١٨١] .

ولكن لِمَ كان «الإفراطُ في الأُنْس مكسبةٌ لِقُرْناءِ السُّوءِ!» - كما في المثل -؛ فالذى أعتقده أنَّ
«العفو يُفسدُ مِنَ الْلَّئِيمِ بِقَدِيرٍ مَا يُصْلِحُ مِنَ الْكَرِيمِ»، وقد غَرَّ القومَ أنَّ وَجْدَوكَ تُطبَّقُ فِي وَاقِعِكَ
معَ أَمْثَالِهِمِ الْمَثَلَ الناطِقَ: «إِذَا قَدِرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فاجْعَلِ الْعَفْوَ شَكْرًا لِلْقَدْرَةِ عَلَيْهِ». وزادَهُمْ أَمْنًاً مِنْ بَطْشِكَ بِهِمْ أَخْذُكَ بِقَوْلِ الشاعِرِ:

تَرْفَقٌ - أَيُّهَا الْمَوْلَى - عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَنَّةِ عِتَابٌ

هذا ما يُشيعه «مجاهدو لوحات المفاتيح» في أخيهم، ولكن على ضِدّ ما نجده عند المشايخ الذين يتمسّحون (هم) بهم من بعده! بواسطة حروف تلك اللوحات بالثناء والإطراء بتعليقاتهم في المنتديات، ودونك ما قاله بعضهم من غير ذكر أسمائهم وأقطارهم (دُوَّلَهُمْ)^(٢) ومواقع تنصيصهم

(١) من مقالى «صيانته أسماء البررة ونقائصها»، الفن المحرر، ٢٠٠٣.

(٢) كا، واحد من هؤلاء في قطع غير قطع الآخر.

-والله يعلم مدى كراهيـتي لإظهار هذا إلاـ اضطراراـ للتأنيـب بعض إخوانـي الطـيـبيـنـ، وتأديـب الأـطـفالـ المـراهـقـينـ؛ مؤـصـلاـ بـهاـ أـخـرـجـ الإمامـ البـخارـيـ فيـ «ـصـحـيـحـهـ»ـ (ـرـقـمـ ٥٠٠٠ـ)، وـمـسـلـمـ فيـ

«ـصـحـيـحـهـ»ـ (ـرـقـمـ ٢٤٦٢ـ)ـ وـالـفـظـ لـهـ: عنـ عبدـ اللهـ بنـ مـسـعـودـ [ـرـضـيـ اللـهـ عـنـهـ]ـ أـنـهـ قـالـ:

«ـوـمـنـ يـعـلـلـ يـأـتـ بـمـاـ غـلـلـ يـوـمـ الـقـيـمـةـ»ـ، ثمـ قـالـ: عـلـىـ قـرـاءـةـ مـنـ تـأـمـرـونـيـ أـنـ أـقـرـ؟ـ

فـلـقـدـ قـرـأـتـ عـلـىـ رـسـوـلـ اللهـ [ـعـلـيـهـ الـسـلـامـ]ـ بـضـعـاـ وـسـبـعـيـنـ سـوـرـةـ، وـلـقـدـ عـلـمـ أـصـحـابـ رـسـوـلـ اللهـ [ـعـلـيـهـ الـسـلـامـ]

أـنـيـ أـعـلـمـ بـكـتـابـ اللهـ، وـلـوـ أـعـلـمـ أـنـ أحـدـاـ أـعـلـمـ مـنـيـ لـرـحـلـتـ إـلـيـهـ.

قـالـ شـقـيقـ: فـجـلـسـتـ حـلـقـ أـصـحـابـ مـحـمـدـ [ـعـلـيـهـ الـسـلـامـ]ـ؛ فـمـاـ سـمـعـتـ أحـدـاـ يـرـدـ ذـلـكـ عـلـيـهـ، وـلـاـ

يـعـيـيـهـ»ـ.

قالـ النـوـويـ رـحـلـلـهـ: «ـوـفـيـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ جـوـاـزـ ذـكـرـ الـإـنـسـانـ نـفـسـهـ بـالـفـضـيـلـةـ وـالـعـلـمـ وـنـحـوـهـ لـلـحـاجـةـ، وـأـمـاـ النـهـيـ عـنـ تـرـكـيـةـ الـنـفـسـ فـإـنـاـ هـوـ لـمـ زـكـاـهـاـ وـمـدـحـهـاـ لـغـيرـ حـاجـةـ بـلـ لـلـفـخـرـ وـالـعـجـابـ، وـقـدـ كـثـرـتـ تـرـكـيـةـ الـنـفـسـ مـنـ الـأـمـاـلـ عـنـدـ الـحـاجـةـ كـدـفـعـ شـرـ عـنـهـ بـذـلـكـ، أـوـ تـحـصـيلـ مـصـلـحةـ لـلـنـاسـ»ـ^(١).

فـانـظـرـ دـونـكـ غـيرـ مـأ~مـورـ:

قـالـ أـحـدـ الـمـشـايـخـ:

«ـأـمـاـ بـعـدـ»ـ.

فـقـدـ اـطـلـعـتـ عـلـىـ الرـسـالـةـ التـيـ كـتـبـهاـ صـاحـبـناـ وـابـنـاـ الفـاضـلـ عـبـدـ الـغـنـيـ بـنـ مـيـلـوـدـ الـجـزـائـريـ تـحـتـ عـنـوانـ: «ـ.....ـ»ـ فـوـجـدـتـهـ رـسـالـةـ قـيـمـةـ، تـحـتـاجـ إـلـىـ أـنـ تـُـطـبـعـ وـتـُـنـشـرـ، رـدـ فـيـهـاـ عـلـىـ «ـ.....ـ»ـ...

وـلـقـدـ سـخـرـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـيـهـ لـهـذـاـ الـدـيـنـ مـنـ يـحـفـظـهـ، مـنـ التـبـدـيـلـ وـالـتـغـيـرـ وـالـتـحـرـيفـ، وـسـخـرـ

(١) «ـالـمـهـاجـ شـرـحـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ بـنـ الـحـجـاجـ»ـ لـلـنـوـويـ (ـ١٦ـ/ـ١٧ـ).

... ولكن الشفب المعهود ولا جديـد!

من يحفظه رجالا يتصررون له ويحوطونه من ورائهم بسيوف وأقلام الحق، ولعل أخي وصاحبـي عبد الغني بن ميلود منهم إذ قام بهذا الواجب على أحسن وجه غير ما مرة في كتاباته الجيدة؛ فجزاه الله خيرا ونفع به، فقد فضح في هذه الرسالة ذلك الضال المضل وذبـَّ عن عرض (...) ، ذبـَّ الله عن وجهه النار يوم القيمة.

فتسأل الله تعالى أن يتقبلنا وإياه في عباده الصالحين، وأن يجعلنا وإياه على ثغر من ثغور السنة، إنه ولي ذلك والقادر عليه».

وقال الآخر:

«قام أحبابنا... من بين عالم وطالب علم، ومثقف محـَبـَ بالذـَّوـُدـ عنـها وعنـ منهـجـهاـ في التعامل معـ البـاطـلـ وأـهـلـهـ، والـبدـعـ وأـهـلـهـ، وـمـنـ جـمـلـهـمـ أـخـوـنـاـ الطـيـبـ: عبدـ الغـنـيـ بنـ مـيـلـودـ بنـ عـيـسـىـ الـجـزـائـريـ؛ حيثـ ردـَّـ فيـ (طـيـيـتـهـ) رسـالـتـهـ هـذـهـ عـنـ عـرـضـ (.....)ـ^(١)ـ، وـعـلـىـ الجـوـيـهـ النـكـرـةـ المـوـصـوـفـ بـحـقـ كـمـاـ وـصـفـهـ حـبـيـبـاـ اـبـنـ مـيـلـودـ الـجـزـائـريـ بـ: (.....)ـ رـدـَـ جـيـلـ العـبـارـةـ، حـسـنـ السـيـاقـ وـالـتـرـيـبـ، مـخـتـصـرـ الـجـمـلـ وـالـتـرـاكـيـبـ، بـمـاـ يـسـهـلـ عـلـىـ الـقـارـئـ الـكـرـيمـ فـهـمـهـ وـاسـتـيـعـابـهـ؛ سـلـكـ فـيـهـ مـسـلـكـ الـإـنـصـافـ، بـعـيـدـاـ عـنـ التـلـفـيقـ وـالـإـجـحـافـ، وـمـاـ كـانـ فـيـهـ مـنـ شـدـةـ فـيـ النـقـدـ وـالـتـوـصـيفـ؛ فـمـاـ هـيـ إـلـاـ حـسـنـةـ مـنـ حـسـنـاتـهـ، وـطـيـيـةـ مـنـ طـيـاتـهـ، وـرـحـمـةـ فـيـ جـنـبـاتـهـ؛ حيثـ أـنـ اللـيـنـ فـيـ مـوـضـعـ الشـدـةـ ضـعـفـ وـتـهـزـيلـ، وـالـشـدـةـ فـيـ مـوـضـعـ اللـيـنـ تـنـفـيرـ وـتـعـطـيلـ، وـالـمـحـمـودـ سـلـوكـ طـرـيـقـ الـحـكـمـةـ، بـأـنـ يـشـتـدـ فـيـ مـوـضـعـ الشـدـةـ، وـأـنـ يـلـيـنـ فـيـ مـوـضـعـ اللـيـنـ...»

وـأـخـيـراـًـ وـلـيـسـ آـخـرـاـًـ؛ فـأـشـكـ لـأـخـيـناـ الـحـيـبـ جـهـدـهـ فـيـ رـسـالـتـهـ، وـطـيـبـ صـنـيـعـهـ فـيـ رـدـَـ،

(١) قال في هذا الموضع -محشيا-: «رد الله عن عرضه السوء في الدنيا، وعن وجهه وبدنـهـ النار يوم القيمة، وعن كلـ من قام مقامـهـ ذاتـاـ وـمـدـافـعاـ عنـ الحـقـ وـأـهـلـهـ».»

... ولكن الشغب المعهود ولا جديـد!

١٧

وَجَيْلَ ذُوْدَهْ عَنْ (.....) ... فِي طَيِّبَتِهِ، وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَزِيدَهُ عَلَىً، وَغَيْرَةً عَلَى أَهْلِ السَّنَةِ،
وَفَصَاحَةً وَبِلَاغَةً، وَوَفْرَةً فِي الْعُقْلِ وَحَصَافَةً، وَأَنْ يَرْزَقَنَا جَمِيعاً الصَّدَقَ وَالْإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ
وَالْعَمَلِ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ».

وقال الثالث:

«... لَقَدْ مَرَرْتُ بِعَجَلَةٍ عَلَى مَا سُوَّدَتِهِ عَلَى بِيَاضِ صَفَحَاتِ الشَّبَكَةِ رَدَا عَلَى ذِي الْلِسَانِينَ،
وَاطَّلَعْتُ عَلَى أَكْثَرِهِ، فَوَجَدْتُكَ سُوَّدَتِ بِهِ وَجْهَهُ، وَكَشَفْتُ حَقِيقَةَ مَا خَبَأَ بَيْنَ سُطُورِ مَقَالَاتِهِ
وَكَتَابَاتِهِ... وَفَضَحَّتَ دَسَائِسَهُ؛ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً.

ولقد حاول هذا المغرور أن يلتقط على الدعوة السلفية بلسانه، ولكن حماة الدين له
بالمرصاد فإن سهامهم لا تخطئ نحوراً أعدائهم.
أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُبَصِّرَ بِهِ كُلَّ مُخْدُوعٍ، وَأَنْ يَهْدِي كُلَّ مُفْتُونٍ، وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَ مَا كَتَبَهُ
فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ».

قلتُ:

اللَّهُمَّ جِنِّبِنِي ذَوْقَ النَّفْسِ وَحَظْهَا وَاجْعُلْنِي كَمَا طُنَّ بِي وَأَحْسَنْ، وَخَيْرٌ مِنْ هَذَا كُلَّهُ مَا نَبَّهَ
إِلَيْهِ الشَّيْخُ الْعَلَامُ رَبِيعُ بْنُ هَادِي - حَفَظَهُ اللَّهُ - حِيثُ قَالَ: «وَمَا أَحَبَ التَّبَنِيهِ عَلَيْهِ هُوَ: أَنْ بَعْضُ
النَّاسِ يَدْعُونَ تَزْكِيَاتٍ صَدَرَتْ مِنِّي لَهُمْ وَرَبِّهَا نَشَرَهَا فِي النَّاسِ وَأَنَا لَا أَذْكُرْ شَيْئاً مِنْ ذَلِكُمْ؛ وَإِنَّمَا
يَزْكِيُّ الْمَرءَ عَمَلَهُ».

فعلى كل مسلم أن يذكر نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح والأخلاق الإسلامية العالية.
وَفَقِّهُكُمُ اللَّهُ وَسَدَّدْ خَطَاكُمْ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ»^(١).

(١) مقال له بعنوان «نصيحة للإخوة المصريين».

... ولكن الشفب المعهود ولا جديـد!

وإذا الفتى عرف الرشاد لنفسه هانت عليه ملامة العذال!

قال الشاعر:

لا عيب لي غير آني من دياركم وزامر الحي لم تطرب مزامرـه!

وقال الآخر:

عرضنا أنفسـاً عـزـت علينا عليهم فاستخفـ بها الهوانـ

ولـو آنـا منـعـناها لـعـزـتـ ولكنـ كلـ معـروـضـ مـهـانـ!!

إخواني الشباب!

﴿أَنْقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر].

فإن يكـ صدرـ هذا الـيـوم ولـ فإنـ غـداـ النـاظـرهـ قـرـيبـ

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة].

لـعـمرـكـ ماـ يـغـنـيـ الشـراءـ عـنـ الفتـىـ إـذـ حـشـرـ جـتـ يـوـمـاـ وـضـاقـ بـهـ الصـدرـ

وعـلـيهـ:

إـنـ القـيـامـ بـقـطـعـ المـادـةـ الفـاسـدـةـ وـتـجـفـيفـ مـنـابـعـهاـ لـحـمـاـيـةـ هـذـاـ الحـقـ وـأـهـلـهـ هـوـ عـينـ الحـكـمةـ

وـدـلـيـلـ الـحـنـكـةـ؛ـ إـذـ شـقـتـ أـخـادـيدـ وـجـعـلـتـ سـرـادـيـبـ فيـ تـلـافـيـفـ الـعـقـولـ الـمـجـفـفـةــ منـ أـمـدـ بـعـيدـ-

بـالـتـقـلـيدـ الـمـصـبـرـ وـالـتـعـصـبـ الـمـضـرـ؛ـ يـعـيـبـ فـيـهـ الـحـقــ فـالـلـهـمـ عـجـلـ فـرـجـهــ،ـ وـتـوـأـدـ فـيـهـ الـحـقـائـقـ حـيـةـ

تصـرـخـ!



فأقول:

إن بعض «الشباب بحاجة إلى تهذيب»^(١) لترك هذا (الشغب)!
وليعلم أننا لسنا بقضاة ولا قضاة، وليس هذه محاكم التفتيش، ولا هي مراكز
للاستخبارات الدولية، ولكن - إن كانت؛ فلتكن - لحظة لمكافحة (الشغب!).

نعم!

الشـّغـب؛ تلك الكلمة التي إذا ما ذكرت في سياق إلاـ غيرـت طبيعته فـأـرـدـتهـ عنـ حـقـيقـتـهـ
وـأـورـدـتهـ نـقـيـصـهـ؛ فـلـوـ أـدـخـلـتـ عـلـىـ الـأـدـبـ لـسـاءـ وـلـانـقـلـبـ إـلـىـ ضـدـهـ، وـلـوـ أـدـخـلـتـ عـلـىـ فـائـقـ النـظـمـ
وـعـزـيزـ الشـعـرـ جـعـلـتـ مـنـهـ نـثـرـاـ يـبـيـءـ أـوـلـهـ لـآـخـرـهـ، وـيـهـدـمـ آـخـرـهـ أـوـلـهـ، وـلـصـارـ لـاـ يـسـاـوـيـ سـمـاعـهـ!
كـمـاـ يـذـكـرـنـاـ أـيـضـاـ - وـهـوـ أـوـلـ مـاـ يـتـبـادـرـ إـلـيـهـ الـذـهـنـ فـيـ الـعـادـةـ - بـالـعـصـيـانـ الـمـدـنـيـ، وـفـيـهـ يـخـتـلـطـ
رـجـالـ الـأـمـنـ وـالـشـرـطـةـ لـمـكـافـحةـ (الـشـغـبـ) بـتـلـكـ الـجـمـاهـيرـ التـائـرـةـ - ضـرـبـاـ لـهـمـ بـالـعـصـيـ وـرـشـهـمـ
بـالـغـازـ الـمـسـيلـ لـلـدـمـوعـ - قـصـدـ تـفـرـيقـهـمـ لـلـحـيـلـوـلـةـ مـنـ اـخـتـالـلـ أـمـنـ الـبـلـدـ بـسـبـبـهـمـ.

فـمـنـ يـنـكـرـ هـذـاـ، وـمـنـ يـرـكـنـ هـذـاـ الـعـبـثـ يـؤـيـدـ إـذـاـ كـانـ يـخـالـفـ الشـرـعـ فـيـ أـمـرـهـ بـوـاـدـ أـسـبـابـ
الـفـتـنـ، وـتـقـلـيمـ أـظـافـرـ الشـرـ فـيـ نـعـومـتـهـ؟!
أـوـ قـلـ - عـلـىـ الـأـقـلـ - : مـنـ يـعـرـرـ هـذـاـ الـعـمـلـ الـذـيـ يـتـنـافـرـ مـعـ اـسـتـقـرـارـ الـحـيـاةـ الـيـوـمـيـةـ الـدـنـيـوـيـةـ؟!
وـيـفـوـتـ المـصـالـحـ الـمـعـيشـيـةـ؟!

عـلـىـ كـلـ حـالـ، رـبـاـ (قـدـ) لـنـ يـكـونـ أـفـضـعـ وـلـاـ أـشـنـعـ وـلـاـ أـقـذـعـ مـنـ ذـاكـ الـذـيـ يـحـدـثـ بـعـضـهـمـ

(١) قالها فضيلة الشيخ الفقيه صالح بن فوزان - سلمه الله - كما في رسالة «الأربعائية في الرحلة الفوزانية».

... ولكن الشفب المعهود ولا جديـد!

-(إخوانُ لنا: صغار السّنّ أو الفهم)- في المسلمين؛ بل في أخصّ طائفةٍ فيهم (أهل الحديث)؛ بل في أخصّ علمٍ تميّزت به (الجرح والتعديل)؛ بل بالكلام باسم علماء هذا الفنِ والمُبرّزين فيه (وهم على قِلَّةٍ فيهم غير معدومين)؛ بل على لسان أحد رؤوسي هذا العلم ونيابة عن أبرزهم وأشهرهم الشيخ المحدث، سماحة الوالد: ربيع بن هادي -حفظه الله ونصره وأيده- بعيداً عن:

العلم، والضبط، والفهم، والتثبت، والحكمة...!

مقروناً بـ:

الخدال وإيثار الغلبة فيه، التسّرُّع في الأحكام، التّعصُّب للرأيِّ، والعجبُ بالنفسِ والقول!

«وعلى هذا [أكثر من هذا حالم]، صورُ العلمِ عندهم صناعةٌ؛ فهي تُكسبهم الكبر والحمّاقة»^(١)؛ فكان (الشَّغبُ) يُمارسُ في منهجنا الأغرِ وباسم شيخنا الأعز من غير استئذانِ منه!

ولا مِنَّا! ولا مِنْ أيِّ رجلٍ سُنّيٍّ إلى السّلف يتسبّب وعلى طريقتهم يدعو الخلق للحق به... أبداً!

ثمَّ هل هو شيءٌ محمودٌ مدوحٌ حتّى يُستأذن به منه؟!

ما هذا؟!!

... «وهؤلاء لم يفهموا معنى العلم، وليس العلم صورَ الألفاظ، إنما المقصود فهمُ المراد منه، وذاك يُورثُ الحشيةَ والخوف، ويُري المنةَ للمنعم بالعلم، وقوّةُ الحجّة له على المتعلّم»^(٢).

فأين معرفةُ القدرِ -من الشباب- لأنفسِهم؟!

وأين هي -وكيف تكون- معرفةُ قدرِ الشّيخ حين نرى ونسمعُ منه -وكذا يُحكى لنا عنه!- لهجانه باسم ذاك الشّيخ الكبير والوالد الجليل؛ ربيع بن هادي؟

وهو يُردّدُ اسمَهُ؛ يُسندُ الكلامَ إليه لا يتردّد:

(١) (٢) «صيد الخاطر» لأبي الفرج ابن الجوزي.

...ولكنه الشغب المعهود ولا جديـد!

٢١

- أحبُّ شيخٍ إلى قلبي ربيعُ بنُ هادي.
- أعلمُ شيخٍ بين العلماءِ ربيعُ...
- أفتَّ في المسألةِ (كذا) الشیخُ ربيعُ.
- جرحَ (فلاناً) و(الفلانيَّ) شیخُنا الربيعُ.
- زكَّى (فلاناً) وأنثى عليه العلامَة ربيعُ.
- ردَّ على (فلان) وأفحَمَ (الآخرَ) ربيعُ بنُ هادي.
- حاصلُ لِوَاءَ الجرحِ والتَّعْدِيلِ، وأعلمُ المشَايخِ بِأحوالِ الدُّعَاءِ وحالِ الدَّعْوةِ -في الجملة-
- الشیخُ ربيعُ.
- قال الشیخُ ربيعُ (كيت)، وتركَ (كذا)... وينصحُ به: (.....)...
- اشتريتُ كُتبَ الشیخُ ربيعُ بنُ هادي (كذا، وكذا)...

ليس هذا فقط، بل وهلْمَ جرّا من هذه العبارات وما شابه. وما يثبتُ للشيخ؛ فنعم، وأنعمْ
به وأكرِم^(١).

فليت الأخ (الصغير) يقفُ ها هنا ولا يستمر ماشيا يختزلُ المسافات بينه وبين الشیخ؛
فيكونُ عندها مشكوراً مأجوراً -بإذن الله-.

لكنهـ - وللأسف الشديد! - يمضي - لا يلتفت لِنَا صِحِيـه أبداً - ليستنتاجَ مواقِفَ وآراءَ،
ويقيسَ أحکاماً على أحکامٍ ليست كما تظهر له، ولا هي كما يتخيّلُ أصلـاً!!
فيصيـرُ بعدُ ينسبُ أقوالـاً، ويُسندُ أحکاماً للشیخِ المُحـبـ لـقـلـبـه (ربيعـ)! والشیخ -في

(١) فهو فارسٌ في ذا المضمار، ونجمٌ بارزٌ في سماء علماء هذه الأيام -نقولها بافتخارـ، ونحن شاكرين الله على متـه أن قيـضـ
لهذه الدعـوة المباركة رجـلاً كالشـیخـ.

... ولكن الشّعب المُعهود ولا جديـد!

الحقيقة والواقع - لم يَكُن منه شيءٌ ممّا تُسِبِّ إلَيْهِ، ولم يَدْرِ عَنْهُ - وَلَا عَنْهَا - خبراً، بل - ربما - لم يخطر على باله أصل ما من أجله ذُكِر اسمُهُ! وَلَا في الْخَلْوَاتِ!

تنبّهْ أخِي ...

وإِذَا مَا نُبَّهَ هَذَا الْأَخَ (المُشَاغِبُ) عَنْ جَنَاحِهِ الْمُتَكَرِّرَةِ؛ بِأَنَّ اتَّقِ اللَّهَ؛ مَاذَا تَصْنَعُ؟؟

ويحك!

فَالشِّيخُ لَمْ يُقُلْ (هَذَا).

أو: لِيُسْ هُوَ مَنْ قَالَ مَا تَقُولُ عَنْهُ لِسُوءِ فَهْمِكَ - لِسُوءِ قَصْدِكَ! -؛ فَتُقُولُهُ مَا لَمْ يَقُلْهُ قَطُّ!

أو: كَيْفَ تَقِيسُ كَلَامَهُ (هَذَا) وَحِكْمَهُ فِي (كَذَا) بِمَا لَمْ يَرُهُ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ الْبَتَّةِ... وَتَنْسِبُهُ

إِلَيْهِ؟!

يَا رَجُلُ!

إِنَّ الشِّيخَ لَا يَرْضِي بِصَنْيَعِكَ (هَذَا) أَوْ بِخُلُقِكَ (ذَاكَ) ...

وَأَحَقُّ أَنْ يُقَالَ لَهُ - وَهَذَا الَّذِي أَقُولُهُ الْآنَ - كَفَاكَ تَمُسُّحًا بِالشِّيخِ الْعَالَمَةِ رَبِيعَ بْنَ هَادِي؛

فَالشِّيخُ لَا يَقْبِلُكَ بِمَنْهَجِكَ الْمُعْوَجِ؛ فَأَنْتَ مُفْسِدٌ لِلْدُعْوَةِ، مُنْفَرٌ عَنْهَا، مُسْلِطٌ لِأَعْدَائِهَا عَلَيْهَا ...

لَمْ يَزِدْ - إِنْ قَابِلَكَ (المُشَاغِبُ)- بِأَنْ: ثَارَ عَلَيْكَ وَكَشَّرَ، وَزَجَرَ يُرْغِي وَيُرْعِدُ بِالْفَاظِ تُخْيِفَةً

مُرْعِبةً؛ فَكَانَتْ هِيَ تَخْرُجُ مِنْ فَوْهَةِ بَرْكَانِ ثَائِرٍ، أَوْ مِنْ جَوْفِ قَبْرِ عَتِيقٍ! مِنْ هُولِ مَا أَحْدَثَهُ فِي نَفْسِ

السَّامِعِ مِنْ أَثْرٍ!

قَلْتُ:

مَا هَذَا؟ وَكَيْفَ كَانَ؟ وَلَمْ؟ وَمَنْ يَكُونُ؟؟!

هَذَا (الشّغُبُ) لِأَسْبَابِهِ آنْفَةُ الذِّكْرِ مِنْ ذَلِكُمُ الْأَخَ (الصَّغِيرُ)! الَّذِي لَمْ يَطْرُ شَارِبِهِ، وَلَمْ

يعرف ذقنهُ ولا لحِيَاه شعرة واحدة، حتّى وإن كان العكسُ؛ فلا جديد؛ إذ العبرةُ بالعلم والعمل
—حقيقة تقرُّ الواقع بحقٍ— ولا غير.

وَشَنِيْ يَرْمِيكَ بِالْجَهْلِ بِالْمُنْهَجِ وَعَدْمِ الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ، وَبِالْتِسَاهْلِ فِي مَا لَا يُتْسَاهِلُ فِيهِ، وَرَبِّا قَدْ يُجْهَزُ عَلَيْكَ بِكَلِمَةٍ أُخْرَى - كَـ: (لَكُمْمِ) قَاضِيَّةٌ عَلَى مَسْتَوِيِ الْوَجْهِ! - وَهِيَ: «أَنْتَ مُمَيِّعٌ»^(١)!
فَاللَّهُمَّ سَلَّمَ سَلَّمَ...

وكما يُقال: «لا يطاع لِقصير رأيٌ»؛ فكُلُّنا نصحتنا هذا (المشاغب) بأنْ خلُّ عنك هذا السُّيُّل والْزَمْ جادة العلماء الأكابر ومنهم (الرَّبِيع)؛ نظرنا - وقد غشَّى وجهه الْكُلُوح وعلا التَّجْهُمْ صفحاته - بعين انتقاصٍ لِـما نحن فيه من تقصير (بل - ربما - وتمييع!)؛ لعدم فهمه الكلام عن إخوانه له، وبعده تفهُّمه للحدَب والإشفاق عليه، والنَّصح والتوجيه منهم ...! والله المستعان.

وكان الأصل من (المشاغب) أن يأخذ بنصوح إخوانه ممن يكرروه علىًّا وفهمًا، وربما حتى سُنَّةً. وأن يشكر لهم ذلك؛ إذ هو ثمرة لجهودهم، وهم سببٌ -بإذن الله- لاستقامته.

العمرى لقد نجحك من الردى إمام وحبلى للأئم وثيق

ويقولُ مُعْتَرِفًا - وَلَوْ فِي نَفْسِهِ - :

سأشكر ما أوليت من حسن نعمة ومشلى بشُكر المنعمين حقيقٌ

ثم يترك هذا (المشاغب) تلك السورة مع كل من ينصحه مبتعداً عن الثورة عليهم، متّخذها منهم إخواناً أحّبة له، لا يفطنُ إليهم بطراوة الكلام ولينه، وطلاؤة الأخلاق، وطلاقة الوجه

(١) هذا في السابق، وأما الآن فيرميك نفس الشخص بالجهل وبالحادية للأحداث الراهنة! وهذا صنيع من جهل الحقيقة -حقيقةً- فجعل مادة دينه أقوال الرجال وأرائهم (يقلّدُهم)؛ بعيداً عن الدليل!

ببشاـشة ...

يـمـشيـ وـإـيـاهـمـ عـلـىـ طـرـيقـ وـاحـدـ -ـمـاـ كـانـواـ عـلـىـ الـحـقـ؟ـ يـنـصـحـ لـهـمـ كـمـاـ هـمـ لـهـ يـنـصـحـونـ.

أـسـأـلـ اللـهـ رـبـيـ أـنـ يـكـوـنـ هـذـاـ خـلـقـيـ مـعـ إـخـوـانـيـ،ـ وـالـكـلـلـ مـعـ الـكـلـلـ كـذـاـ،ـ آـمـيـنـ.



وـمـنـ صـوـرـ (ـالـشـغـبـ)ـ أـخـرـىـ قـرـيـبـةـ هـيـ مـنـ ضـدـ الـأـولـىـ -ـحـيـثـ يـكـوـنـ الـانتـصـارـ مـنـ الشـابـ مـثـلاـ لـقـوـلـ شـيـخـهـ وـإـنـ أـخـطـأـ،ـ بـيـنـمـاـ الـأـولـىـ يـكـوـنـ فـيـهـ الـانتـصـارـ لـمـ يـقـلـ بـهـ الشـيـخـ لـعـدـمـ ثـبـتـ الشـابـ نـفـسـهـ؛ـ هـذـاـ الفـرـقـ؟ـ فـيـمـشـيـ الشـابـ عـلـىـ إـثـرـ مـعـصـوبـ الـعـيـنـيـنـ،ـ مـعـطـوـبـ الـطـرـفـيـنـ،ـ وـقـدـ عـقـدـ عـلـىـ شـيـخـهـ خـنـصـرـهـ -ـكـائـنـهـ (ـعـصـيـةـ)ـ يـاـ أـخـيـ!ـ -ـ حـيـنـ إـبـصـارـهـ قـبـلـ إـعـصـابـهـ...ـ يـنـظـرـ شـيـخـهـ أـكـمـلـ وـأـفـقـهـ وـأـفـهـمـ وـأـعـلـمـ الرـجـالـ فـيـ قـطـرـ كـامـلـ -ـبـصـحـرـائـهـ وـتـلـهـ،ـ وـهـضـابـهـ وـسـهـولـهـ،ـ وـمـاـ بـيـنـ ذـلـكـ جـمـيـعـاـ؛ـ شـرـقاـ وـغـربـاـ!ـ^(١)ـ وـكـائـنـهـ فـيـ نـظـرـ الـآـفـلـ -ـبـلـ كـوـنـهـ يـتـغـافـلـ!ـ -ـ كـالـمـعـصـومـ!ـ فـشـابـهـ -ـأـوـ كـادـ!ـ -ـأـتـابـعـ الجـمـاعـاتـ إـلـاسـلـامـيـةـ -ـأـعـنـيـ:ـ الـبـدـعـيـةـ؟ـ حـيـثـ يـقـفـ الـواـحـدـ مـنـهـمـ مـنـ رـؤـوـسـهـمـ وـمـنـ يـنـظـرـ لـهـمـ مـوـقـفـ الـقـدـاسـةـ،ـ كـأـصـنـامـ أـهـلـ الـجـاهـلـيـةـ!ـ فـلـاـ يـمـسـ أـحـدـهـمـ بـنـقـدـ،ـ وـلـاـ يـرـاجـعـ بـرـدـ...ـ يـنـظـرـ بـعـينـ الـقـدـاسـةـ!!ـ

(١) وـكـأنـ الدـعـوـةـ مـحـصـورـةـ بـشـخـصـهـ وـمـنـ عـرـفـهـ هـوـ فـقـطـ،ـ أـمـاـ مـنـ سـوـاـهـ فـغـيرـ مـوـجـودـ،ـ غـيرـ مـوـجـودـ دـعـوـتـهـ -ـوـإـنـ كـانـتـ ثـمـرـتـهـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ ظـاهـرـةـ!ـ هـذـاـ النـوعـ مـنـ الشـابـ كـأـنـ مـنـهـجـ السـلـفـ وـالـدـعـوـةـ إـلـيـهـ عـنـدـهـ مـحـصـورـ فيـ إـقـلـيمـ لـاـ يـتـعـدـهـ بـدـعـاتـهـ؛ـ وـيـمـتـحـنـ بـهـمـ -ـوـهـوـ كـذـلـكـ -ـ،ـ وـيـلـزـمـ بـأـقـوـاـهـمـ،ـ وـ...ـ وـ...ـ وـلـيـسـ مـعـنـىـ عـدـمـ مـعـرـفـتـهـ لـغـيـرـهـمـ عـدـمـ وـجـودـهـمـ،ـ هـوـ قـدـ يـنـسـيـ هـذـاـ!

خاصةً إذا كان الشيء الذي يسيّره صوب شيخ هذا الشاب واضحاً؛ لا غيش يعتريه ولا هو يحتاج كثير تأمل ونظر حتى يُقال: الأمر يحتمل ويحتمل. لا، بل هو خطأ واضح لكل مُنصِّفٍ مُنصرِفٍ عن أغلال العصبية السادرة والتقليد المصيري.

الحق أبلج والسيوف عواري فحذار من أسد العرين حذار

«وعلى العاقل أن لا يستصغر شيئاً من الخطأ في الرأي، والزلل في العلم، والإغفال في الأمور؛ فإنَّه من استصغر الصغير أو شكَّ أن يجمع إليه صغيراً وصغيراً، فإذا الصغير كبير. وإنَّها هي ثلُّم يثلمُها العجزُ والتضييع؛ فإذا لم تُسْدِّدْ أو شكتَ أن تنفجر بها لا يُطاق.

ولم نر شيئاً قطْ قد أتَى إلَّا مِنْ قَبْلِ الصغير المتهاون به: قد رأينا الملك يؤتى مِنْ قَبْلِ العدوِّ المُحتقر، ورأينا الحصَّة تُؤتى مِنَ الداء الذي لا يُحفلُ به، ورأينا الأنهار تنبثقُ من الجدولِ الذي يُستَحْفَثُ به»^(١).

وعليه: فإذا سُئلَ أحدُ المشايخ -مَنْ (قد) لا يعرِفُهم ذاك الشابُ- عن شيء ما، فأجاب بما يعتقدُه وأنَّه الحقَّ وتابعه جمُعُ من الشَّباب في الذي قال به... وقد خالف الشَّيخ بجوابه هذا ما يُزاوِلُه فعلاً شيخ أو شيخُ الشَّاب (المُدافِع)؛ فيتفضُّلُ يُدافعُ باستماتة عن شيخه الحبيب القريب لِيَصِفَ الآخرَ بـ: «التَّشويش» مَرَّةً! و«التَّشغيب» تارةً! و«التَّعلَّم» أخرى!...

ليس فقط! بل إنَّه: «مناهض للمشايخ...»، «مشتَّت لكلمة أهل السنة»، و«مُفرَق لشباب السنة برأيه المفرد عنهم»!... صفاتٌ لا تُصرُفُ مُوجَّهةً إلَّا لرجل احترف الانحراف، أو لصغير في العلم والسنّ، زَدَ له قلة الأدب ومعيَّبُ الأخلاق، وكأنَّ بينه وبين السنة -منهجاً علمياً، وحياتياً - كما بين أَرْضِنَا وذاك الكوكب!

(١) «الأدب الصغير» (ص ٢٧).

... ولكن الشّعب المعهود ولا جديـد!

رغم أن الرّجـل لم يـعـرف -طبعاً: عند المـصـفـين- إـلا بـضـدـ ما وـصـفـ به -أعلاـهـ، وـسـلـ من درـى عنـهـ، وـعـرـفـهـ مـنـهـ، وـرـآـهـ وـسـمـعـهـ كـذـلـكـ!

قال ابنُ المنذر رَحْمَةُ اللَّهِ كَمَا فِي «الأَوْسَطِ» (١ / ٢٣٠): «إِذَا تَطَهَّرَ الرَّجُلُ فَهُوَ عَلَى طَهَارَتِهِ، إِلَّا أَنْ تَدَلِّلْ حَجَّةً عَلَى نَقْضِ طَهَارَتِهِ».

قلـتـ:

هـذـاـ في نـقـضـ عـبـادـةـ الـوـضـوـءـ التـيـ يـتـرـّـبـ عـلـىـ بـطـلـانـهاـ بـطـلـانـ ماـ صـلـىـ بـهـاـ مـنـ صـلـاةـ فـيـ ذـاكـ الـيـوـمـ -وـهـوـ أـمـرـ مـخـصـوصـ بـصـاحـبـهـ لـاـ يـتـعـدـ خـطـرـ فـعـلـهـ نـفـسـهـ؟ـ فـكـيفـ بـمـنـ يـجـرـؤـ عـلـىـ نـقـضـ -أـوـ قـلـ: هـدـمـ!ـ مـنـهـجـ رـجـلـ عـلـىـ السـنـةـ يـدـعـوـ إـلـيـهـاـ، وـأـثـرـهـ فـيـ الشـابـ وـالـنـاسـ ظـاهـرـ؟ـ لـيـصـبـ هـذـاـ الـأـخـيـرـ عـنـ هـذـاـ الشـابـ الـمـتـجـرـئـ وـمـنـ تـبـعـهـ مـنـ الـمـخـدوـعـينـ مـنـ لـاـ يـلـتـفـتـ إـلـيـهـ، أـوـ تـصـنـيفـهـ مـعـ جـمـلـةـ الـمـخـالـفـينـ بـدـوـنـ حـجـةـ وـلـاـ بـرـهـانـ مـبـيـنـ!!ـ

قال أبو عمر -والذكرى تنفع المؤمنين- يا أبو عمر! -«الشاب المبتدئ لا يُدعى استقلالاً، ولا يجرّح ولا يزكي استقلالاً؛ وإنما يعرض على المتأهل ما عنده من ملاحظات على الشخص: أقوال أو أفعال (مُثبتة)، مكتوبة أو مسموعة (موثقة)؛ وبعد ذلك المتأهل هو الذي يحكم». ... ما أكثر الكذب في الشباب الذين هم حديثوا استقامة، بسبب: (التـأـوـيـلـاتـ، والـرـيـادـاتـ فيـ الـكـلـامـ، وـالـنـقـصـ)!

الـكـذـبـ أـحـيـاـنـاـ يـكـونـ غـيرـ مـتـعـمـدـ وـلـكـنـ يـكـثـرـ بـيـنـ الشـابـ هـذـاـ الشـيـءـ -لـلـأـسـفـ الشـدـيدـ!ـ خـاصـةـ فـيـ عـصـرـنـاـ؛ لـذـلـكـ -بـارـكـ اللـهـ فـيـكـمـ -أـمـرـ الصـدـقـ بـيـنـ الشـابـ، أـمـرـ الـجـرـحـ وـالـتـعـدـيلـ، أـمـرـ التـزـكـيـةـ، أـمـرـ التـبـدـيـعـ، لـابـدـ أـنـ يـتـحـرـرـ فـيـهـ، وـالـمـبـتـدـئـونـ لـيـسـ لـهـمـ حـقـ فـيـ ذـلـكـ»^(١).

(١) فـرـغـتـ مـنـ مـاـدـةـ صـوـتـيـةـ لـهـ عـنـوـتـ بـ: «نـصـيـحةـ لـلـشـابـ بـخـصـوصـ مـنـ يـجـرـحـ وـيـزـكـيـ»!

وقال كذلك -متعجّباً من حال هذا النوع الذي نعانيه جميعاً!:-

«... لا أنست غيظنا من (فلان)...؛ يعني بعض الشباب مثل الحشرات (!)؛ لا يعيشون إلا على العفن، بعض الناس فقط هم العفن، ويزينون لأنفسهم أن هذا من أعظم الجهاد ونصرة السلفية! وهو في الحقيقة إنما ينصرفون إلى الشيطان، وعلامة هؤلاء:

- ضعف علمهم -قلة العلم!.-

- إتباعهم لأهوائهم؛ بحيث أنهم إذا جاء لهم بالدليل أعرض عنه!

- ميلهم الكامل إلى التقليد.

- إسرافهم في التقدـ.

- وتحمـيلـهم لـكلـامـ السـلـفـيـنـ المـخـالـفـيـنـ (ـلـمـنـ هـمـ يـعـظـمـونـ وـيـقـلـدـونـ)ـ ماـ لاـ يـحـتمـلـ!

- تلقـفـ الشـائـعـاتـ وـعـدـمـ التـثـبـتـ منـ الـأـخـبـارـ...

ويأتي بالأـخـبـارـ منـ (ـهـنـاـ)!ـ وـ(ـهـنـاكـ)!ـ وـيـتـخـصـصـ !!ـ»ـ^(١).

وأقول:

هذا على فرض أن الشـيخـ جـانـبـ الصـوابـ فيما خـالـفـ فـيهـ شـيـخـاـ أوـ شـيوـخـاـ ماـ فيـ مـسـأـلةـ

ماـ^(٢)ـ؛ـ «ـإـذـاـ عـاتـبـتـ فـاسـتـبـقـ»ـ^(٣)ـ،ـ وـ«ـلـاـ تـزـهـدـ فـيـ رـجـلـ عـرـفـ فـضـلـهـ،ـ وـجـرـبـ عـقـلـهـ»ـ^(٤)ـ.

(١) فـرغـتـهـ مـنـ مـاـدـةـ صـوتـيـةـ لـهـ عـنـوـنـتـ بـ:ـ «ـنـصـيـحةـ لـلـشـابـ بـخـصـوصـ نـشـرـ بـعـضـهـمـ فـتـنـ فـيـ الـمـتـدـيـاتـ»ـ!

(٢) كـيفـ لـوـ كـانـ الـحـقـ مـعـهـ،ـ وـكـانـوـ بـخـلـافـ لـلـحـقـ؟ـ!

وهـذـاـ وـاقـعـ فـيـ دـنـيـاـ النـاسـ كـثـيرـ،ـ إـذـ الـكـثـرـ لـيـسـ شـرـطاـ فـيـ إـصـابـةـ الـحـقـ؛ـ فـكـمـ مـنـ مـسـأـلةـ فـيـ فـقـهـ الـعـبـادـاتـ -ـمـثـلاـ-ـ ذـهـبـ إـلـيـهاـ الجـمـهـورـ كـانـ الرـاجـحـ عـنـدـ مـنـ تـفـرـدـ عـنـهـمـ!

وـلـاـ تـنسـ -ـكـمـ هـوـ عـنـدـ أـهـلـ الـحـدـيـثـ -ـ أـنـهـ إـذـ تـفـرـدـ ثـقـةـ بـحـدـيـثـ فـلاـ يـضـرـ تـفـرـدـهـ فـيـ الـغـالـبـ؛ـ فـ:

قـدـ يـدـرـكـ الـمـرـءـ بـعـدـ الـأـيـسـ حـاجـةـ وـقـدـ يـدـلـ بـعـدـ الـقـلـةـ الـعـدـاـ

(٣) (٤) «ـجـوـامـعـ الـآـدـابـ»ـ (ـبـرـقـمـيـ ١٦ـ١٩ـ)ـ عـلـىـ التـرـيـبـ.-

... ولكن الشفب المعهود ولا جديـد!

نهيـتك لا تعجل بعتـب لصاحب لعل له عذرا وأنت تلوم^(١)!

ما وراء هذا الدفاع عن شيخ والانتصار لقوله إذا كان لم يُصب الحق في هذه المسألة أو ذاك الأمر، والخطـ على من خالقه بعلم وصواب؟!! مع العلم أن الشيخ الذي وصفـ بـ «التـشـغـيب» لم يقدح بشيخ ذاك الشاب الجـهـول العـجـول؛ بل لم يـعرضـ به أصلـاـ، ولكن أجـابـ بما خـالـفـ فيه الآخرـ... وهذا مـعـلـومـ غيرـ مجـهـولـ!

فهل يريدـها الشـابـ من شـيخـهـ وإنـ أـخـطـأـ معـ قـدـرـهـ المـعـرـوفـ فيـ السـنـةـ، وـشـهـادـةـ أـهـلـ الـعـلـمـ لهـ بـالـخـيرـ- بـزـعـمـ آـنـهـ مـزـكـىـ؟ـ

فـهـلـ (التـزـكـيـةـ)ـ وـ(ثـبـوتـ الـعـدـالـةـ)ـ لـهـ تـضـفـيـ الشـرـعـيـةـ عـلـىـ أـخـطـاءـ وـأـخـطـارـ المـزـكـىـ؟ـ فـتـمـنـحـ لـشـخصـهـ الـأـحـقـيـةـ فـيـ كـلـ مـسـأـلـةـ يـقـوـلـ بـهـاـ وـفـيهـاـ يـدـلـيـ بـرـأـيـهـ، وـتـمـنـعـ غـيرـهـ- وـهـوـ مـنـ أـهـلـ السـنـةـ كـذـلـكـ- مـنـ الـمـخـالـفةـ لـهـ بـالـدـلـيلـ وـمـنـهـجـ الـعـلـمـ الـفـحـولـ؛ـ لـيـصـيرـ إـنـ خـالـفـ بـعـدـ:ـ جـاهـلاـ،ـ مـجـهـولاـ،ـ نـكـرـةـ،ـ أـتـىـ مـنـكـرـاـ،ـ مـشـاغـبـاـ،ـ وـمـشـوـشـاـ...ـ؟ـ؟ـ بـعـدـ مـخـاطـبـتـهـ قـبـلـ ذـلـكـ بـ:ـ (الـأـخـ)ـ تـحـقـيرـاـ-ـ وـإـلـاـ فـالـأـخـوـةـ ثـابـتـةـ بـالـدـيـنـ-ـ وـقـدـ كـانـ عـنـهـ شـيـخـاـ وـرـبـاـ فـيـ مـقـامـ:ـ (ـالـوـالـدـ)ـ!

حتـىـ وـإـنـ قـالـ هـذـاـ الـأـخـيـرـ كـلـمـةـ الـحـقـ الـتـيـ إـذـاـ قـوـبـلـتـ لـلـحـقـ عـيـنـهـ كـانـتـ هـوـ؛ـ فـهـيـ هـوـ،ـ وـهـوـ هـيـ!

سبـحـانـ اللهـ!

أـمـ يـرـيدـ هـذـاـ الشـابـ وـثـانـ وـثـالـثـ...ـ إـذـاـ سـئـلـ غـيرـ مـحـبـوـهـ بـسـؤـالـ أـنـ يـحـيـبـ بـقـوـلـ لـاـ يـنـفـكـ فيـ مـنـتـهـاـهـ عـنـ قـوـلـ الـمـحـبـوـبـ؛ـ وـإـلـاـ فـلـاـ؟ـ

ربـهاـ يـنـسـىـ هـذـاـ الصـنـفـ مـنـ الشـابـ أـنـ إـلـاسـلـامـ بـمـعـجـيـهـ حـرـرـ الـإـنـسـانـ مـنـ أـصـنـامـ حـجـارـاـ

(١) التمس لأـخـيكـ سـبعـينـ عـذـراـ -ـ مـاـدـامـ عـلـىـ السـنـةـ؛ـ يـدـعـواـ إـلـيـهـاـ -ـ فـقـلـ:ـ لـهـ عـذـرـ؛ـ فـإـنـ لـمـ تـطـبـ نـسـكـ أـنـ لـمـ تـعـرـفـ عـذـرـهـ فـلـمـهـاـ،ـ وـمـلـ بـهـ لـضـدـ مـاـ تـهـوـأـ -ـ فـإـنـهـاـ عـدـوـ!ـ.

كان يعبدـها «وحرر الإسلام - كذلك - الإرادة الإنسانية من التبعـيـة الذلـيـلة والانـقـيـاد الأعمـى لـشهـوـات السـادـة والـرؤـسـاء، وـدـعـاـ الإـنـسـان إـلـى أـنـ يـعـيـش حـرـراـ كـريـماـ فـي ظـلـ من أـداء الـواـجـب وـيـقـظـة الصـمـير وـالـرـعـاـية لـحدـود الله»^(١).

ومـا دـام الـأـمـر مـن الدـيـن - وكـلـ صـلـتـه بـهـ، فـلا يـتـصـلـ بـشـيـء غـيرـهـ - كان يـعـبـدـ بـهـ: صـدـعاـ بالـحـقـ وـإـظـهـارـاـ لـمـا هـو وـاجـبـ مـتـى مـا لـزـمـ ذلكـ إـذـ هـو مـن التـبـلـيـغـ لـلـنـاسـ؛ خـاصـةـ إـذـ سـئـلـوا كـتـبـيـنـ (ذلكـ) المـطـلـوبـ لـحـاجـتـهـمـ إـيـاهـ؛ «وـتـبـلـيـغـ الـعـلـم وـاجـبـ، وـلـا يـجـوزـ كـتـهـانـهـ، وـلـكـنـهـ خـصـصـواـ ذـلـكـ بـأـهـلـهـ، وـأـجـازـواـ كـتـهـانـهـ عـمـّـنـ لـا يـكـونـ مـسـتـعـدـاـ لـأـخـذـهـ وـعـمـّـنـ يـصـرـ. عـلـىـ اـخـطـأـ بـعـدـ إـخـارـهـ بـالـصـوـابـ»^(٢).

أـمـ تـرـاهـ يـكـتـمـ الـعـلـمـ مـنـ أـجـلـ آـنـهـ لـا يـوـافـقـ (فيـ هـذـهـ الـمـسـأـلـةـ بـالـذـاتـ) شـيـخـ - أـيـهـاـ الشـابـ!ـ خـشـيـةـ أـنـ يـلـحـقـهـ الـدـمـ مـنـ قـبـلـكـ وـأـمـثـالـكـ؛ لـظـنـكـ بـشـيـخـ وـآـنـهـ مـحـقـ، بـعـيـدـ غـيرـهـ عنـ الصـوـابـ باـعـتـبارـاتـ لـمـ تـقـوـ وـلـا تـقـومـ بـاطـرـادـ:

وـمـا كـلـ الـظـنـونـ تـكـوـنـ حـقـّـاـ وـلـا كـلـ الصـوـابـ عـلـىـ الـقـيـاسـ^(٣)!

فـانتـبهـ! وـنـبـهـ غـيرـكـ - ياـ هـذاـ... «وـاعـلـمـ أـكـثـرـ النـاسـ إـنـا هـلـكـواـ لـخـوفـ مـذـمـةـ النـاسـ، وـحـبـ مـدـحـهـمـ؛ فـصـارـتـ حـرـكـاتـهـمـ كـلـهـاـ عـلـىـ ماـ يـوـافـقـ رـضـاـ النـاسـ، رـجـاءـ المـدـحـ، وـخـوـفـاـ مـنـ الـدـمـ، وـذـلـكـ مـنـ الـمـهـلـكـاتـ؛ فـوـجـبـ مـعـالـجـتـهـ»^(٤).

ولـكـنـ الـمـخلـصـ الـذـيـ يـتـعـبـدـ اللهـ بـكـلامـهـ فـيـ الـدـيـنـ، فـيـنـصـ الـحـقـ صـادـعـاـ بـهـ وـمـنـعـشاـ أـنـصارـهـ

(١) قالـ الشـيـخـ مـحـمـدـ خـلـيلـ هـرـاسـ الـمـصـرـيـ فـيـ كـتـابـهـ «غـرـيـةـ الـإـسـلـامـ» (صـ ٣٤) - تـحـتـ القـاعـدـةـ السـادـسـةـ.

(٢) قالـ الشـيـخـ أـحـمـدـ شـاـكـرـ؛ نـقـلاـ عـنـ وـاسـطـةـ - عـزـيـيـ فـيـهـاـ إـلـىـ «الـبـاعـثـ الـحـيـثـ» (صـ ١٣٣) !ـ.

(٣) «مـنـ روـائـعـ دـيـوانـ أـبـيـ الـعـتـاهـيـةـ» (صـ ٤٣)؛ إـنـتـقاـءـ وـضـبـطـ: دـ. نـاصـرـ لـوـحـيـشـيـ.

(٤) «مـختـصـرـ مـنـهـاجـ الـقـاصـدـيـنـ» لـأـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ قـدـامـةـ الـمـقـدـسـيـ (صـ ٢٣٣).

... ولكن الشفب المعهود ولا جديـد!

فيه، لن يبرح قوله -الذي يعتقد أنه (الحق) مقوـنا بـدلـيلـه- إلى غيره إلاـ بـدلـيلـ يـقـوى على الأولـ بما يـوجـب تـركـه؛ ليـربحـ فيـ الحالـتينـ، كـيفـ لاـ (وـهـوـ يـدورـ وـيـشـورـ وـيـسـكـنـ وـيـسـكـتـ إـلـاـ معـ الدـلـيلـ)؟!

كـانـتـ هـذـهـ الـأـكـتـوبـةـ الـمـتوـاضـعـةـ؛ لـإـرـادـةـ «الـتـبـيـهـ عـلـىـ أـنـ الـمـرـادـ مـنـ هـذـاـ...ـ هوـ اـسـتصـلاحـ الـأـحـوالـ، بـدـلـالـةـ الـمـسـلـمـينـ عـلـىـ طـرـيـقـ جـمـاعـةـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ الدـعـوـةـ إـلـىـ اللهـ تـعـالـىـ عـلـىـ منـهـاجـ الـبـُشـرـةـ لـاـ غـيرـ.

وـتـخـذـيرـهـمـ مـنـ تـشـقـيقـ»^(١) أـهـلـ السـنـةـ -ـخـاصـةـ-، أوـ التـسـبـبـ فـيـ ضـرـبـ دـعـوـتـهـمـ الـحـقـةـ، أوـ عـلـىـ الـأـقـلـ -ـإـضـعـافـهـاـ!

لـسـانـ الـحـالـ يـقـولـ -ـوـأـسـأـلـ اللهـ أـنـ أـكـونـ مـنـ الـمـخلـصـينـ-: ﴿يَنْقُومُ أَرْءَى شَمَّ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بِنَتَّةٍ مِّنْ رَّبِّي
وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ خَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِلَاصْلَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ
وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [٨٨] [هـودـ].

«وـالـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـينـ -ـحـمـداـ طـيـباـ مـبارـكاـ فـيـهـ- كـماـ يـحـبـ رـبـنـاـ وـيـرضـيـ، وـكـماـ يـنـبـغيـ لـكـرـمـ
وـجـهـهـ وـعـزـ جـلـالـهـ غـيرـ مـكـفـيـ وـلـاـ مـكـفـورـ وـلـاـ مـوـدـعـ وـلـاـ مـسـتـغـنـيـ عـنـهـ رـبـنـاـ، وـنـسـأـلـهـ أـنـ يـوزـعـنـاـ
شـكـرـ نـعـمـتـهـ، وـأـنـ يـوـفـقـنـاـ لـأـدـاءـ حـقـةـ، وـأـنـ يـعـيـنـنـاـ عـلـىـ ذـكـرـهـ وـشـكـرـهـ وـحـسـنـ عـبـادـتـهـ، وـأـنـ يـجـعـلـ ماـ
قـصـدـنـاـ لـهـ فـيـ هـذـاـ الـكـتـابـ وـفـيـ غـيرـهـ خـالـصـاـ لـوـجـهـ الـكـرـيمـ وـنـصـيـحةـ لـعـبـادـهـ.

فـيـ أـيـهـاـ الـقـارـئـ لـهـ؛ لـكـ غـنـمـهـ وـعـلـىـ مـؤـلـفـهـ غـرـمـهـ، لـكـ ثـمـرـثـهـ وـعـلـىـهـ تـبـيـعـهـ، فـمـاـ وـجـدـتـ فـيـهـ مـنـ
صـوـابـ وـحـقـ فـاقـبـلـهـ وـلـاـ تـلـتـفـتـ إـلـىـ قـائـلـهـ؛ بـلـ انـظـرـ إـلـىـ مـاـ قـالـ لـاـ إـلـىـ مـنـ قـالـ، وـقـدـ ذـمـ اللـهـ تـعـالـىـ مـنـ
يـرـدـ الـحـقـ إـذـ جـاءـ بـهـ مـنـ يـعـضـهـ وـيـقـبـلـهـ إـذـ قـالـهـ مـنـ يـحـبـهـ؛ فـهـذـاـ خـلـقـ الـأـمـةـ الـغـضـبـيـةـ.

(١) «حـكـمـ الـانتـماءـ إـلـىـ الـفـرـقـ وـالـجـمـاعـاتـ الـإـسـلامـيـةـ» لـلـشـيـخـ بـكـرـ (صـ ١٣٩ـ).

قال بعض الصحابة: أقبل الحقَّ [يُمَنِّ] قاله وإن كان بعضاً، ورد الباطل على من قاله وإن كان حبيباً، وما وجدت فيه من خطأ فإن قاتله لم يأْلِ جهداً الإصابة ويأْبى الله إلا أن يتفرد بالكمال -كما قيل-، والنقص في أصل الطبيعة كامن؛ فَبَنُوا الطبيعة نقشهم لا يجحد وكيف يعصم من الخطأ من خلق ظلوماً جهولاً، ولكن من عَدَّت غلطاته أقرب إلى الصواب من عدت إصاباته، وعلى المتكلّم في هذا الباب وغيره أن يكون مصدر كلامه عن العلم بالحق^(١).

أما (المُشاغبون) -مَنْ ليس لهم أثارةٌ مِنْ علم؛ المحمّلون لكلام إخوانهم ما لا طاقة لهم به!- و(المُشغّبون) على أهل السنة -وإن ادعوا تبنيهم منهج السلف ونسبتهم له-؛ بجمودهم على التّقليد الأصم، أو سيرهم على درب التّعصب -وهو الوراثُ الحقيقُ (لتّقليد)!-، والغلو في النقد (إسقاط) مَنْ لا يستحقُ ذلك... أقول:

«اتّقوا الله واسكُتوا، واحترموا أهل السنة... فإذا كان عندكم آئُلِّيْسَة؛ فنحنُ عندنا آئُلِّيْسَة وأقلام»^(٢) ثُبَرَى ونَبِرَى بها ضَدَّ مَنْ (يُشَغِّب) على بعض مشائخنا وإخواننا السلفيين؛ إذ ضربتهم موجةً واسعةً مِنْ المَوْسِ، فراحوا -زرافات ووحداناً- بين مُتصنّتٍ ومتّجسّسٍ، يسترقون السمع -وليتهم مِنْ (ثقات) ينقلون عنهم- ونسوا أنّ وراءهم شُهُبٌ ثاقبة وأقلامٌ ناقدة! ورجالٌ لا يعرِفُ النّوم إلى أجفانهم سبيلاً حتى تقع أعينهم ناظرةً على سهامهم المصوّبة نحو مَقاتِلِهم في (مقالاتِهم)... ولكننا ادّخرناها لأهل البدع الأصليين كَي تقرَّ أعيننا -جيعاً- بِخُذلان الباطل وأهله. «فأقول لهم:

هذه العنصرية اترووها عنكم، لأنّكم تضرّون دعوة التوحيد وتصررون أنفسكم؛ اترووها عنكم.

(١) مِنْ خاتمة «مدارج السالكين» لابن القيّم.

(٢) فرغتها مِنْ مادة صوتية للشيخ ربيع -حفظه الله-.

... ولكن الشّعب المعهود ولا جديـد!

أئمـة دعوة التـوحـيد المتأخـرين من فضـل الله عـلـيـهـمـ أـنـهـمـ وـافـقـواـ المـتـقدـمـينـ، وـمـنـ فـضـلـ اللهـ عـلـيـهـمـ أـنـهـمـ نـصـرـواـ المـتـقدـمـينـ -ـمـنـ السـلـفـ وـالـصـحـابـةـ-ـ فـيـ كـتـبـهـمـ وـفـيـ رسـائـلـهـمـ. فـاتـرـكـواـ عـنـكـمـ اللـعـبـ هـذـاـ -ـ فـيـ مـسـائـلـ خـطـيرـةـ، وـعـنـدـمـاـ يـصـبـرـ طـلـبـةـ الـعـلـمـ عـنـ بـعـضـ الـمـسـائـلـ مـنـ بـابـ الـمـصـلـحةـ؛ـ لـكـنـ إـذـاـ رـأـيـ أـنـ مـنـ الـمـصـلـحةـ الرـدـ عـلـيـكـمـ بـأـسـائـلـكـمـ فـسـوـفـ يـُرـدـ عـلـيـكـمـ بـأـسـائـلـكـمـ، وـتـنـقـضـ مـسـائـلـكـمـ بـأـسـائـلـهـاـ..ـ

فـمـثـلـ هـذـهـ الرـسـائـلـ التـيـ أـنـاـ أـلـاحـظـهـاـ، وـبـعـضـ الـجـلـسـاتـ، وـبـعـضـ الـحـاجـاتـ؛ـ يـُرـكـزـونـ عـلـىـ أـشـخـاصـ مـعـيـنـينـ مـنـ الـمـتـأخـرـينـ وـكـانـ الـمـتـقدـمـينـ غـيرـ مـوـجـودـينـ !

... فـلـيـتـرـكـ هـؤـلـاءـ مـثـلـ هـذـهـ الـأـمـرـ وـلـيـدـعـوـهـاـ عـنـهـمـ؛ـ فـإـنـ الصـبـرـ بدـأـ يـنـفـدـ»^(١). «وـإـذـاـ أـبـيـ [ـأـحـدـهـمـ أـوـ أـكـثـرـهـمـ]ـ إـلـاـ الـمـهـارـشـةـ وـالـمـنـاقـشـةـ، وـالـمـوـاحـشـةـ وـالـمـفـاحـشـةـ؛ـ فـأـيـصـبـرـ عـلـىـ حـزـ الـحـلـاقـمـ، وـنـكـرـ الـأـرـاقـمـ، وـنـهـشـ الـضـرـاغـمـ، وـبـلـاءـ الـمـتـراـكـمـ الـمـتـلاـطـمـ...»^(٢)، وـ﴿لـلـهـ أـلـأـمـرـ مـنـ قـبـلـ وـمـنـ بـعـدـ﴾ [ـالـرـومـ:ـ٤ـ].

وـأـكـرـرـ مـذـكـرـاـ بـهـاـ كـنـتـ قـلـتـهـ لـهـمـ حـتـىـ يـتـقـرـرـ -ـ بـإـذـنـ اللهـ-ـ:

«هـذـاـ، وـأـنـاـ فـيـ سـعـةـ صـدـرـ لـمـ يـخـالـفـنـيـ؛ـ فـإـنـهـ وـإـنـ تـعـدـيـ حـدـودـ اللهـ فـيـ بـتـكـفـيرـ أـوـ تـفـسـيـقـ أـوـ اـفـرـاءـ أـوـ عـصـبـيـةـ جـاهـلـيـةـ فـأـنـاـ لـاـ تـعـدـيـ حـدـودـ اللهـ فـيـهـ؛ـ بـلـ أـضـبـطـ مـاـ أـقـولـهـ وـأـفـعـلـهـ وـأـزـنـهـ بـمـيزـانـ الـعـدـلـ، وـأـجـعـلـهـ مـؤـمـنـاـ بـالـكـتـابـ الـذـيـ أـنـزـلـهـ اللهـ وـجـعـلـهـ هـدـيـ لـلـنـاسـ حـاكـيـاـ فـيـمـاـ اـخـتـلـفـوـاـ فـيـهـ...ـ وـإـنـ أـرـادـواـ أـنـ يـنـكـرـوـاـ بـهـ شـأـوـرـاـ مـنـ حـجـجـ عـقـلـيـةـ أـوـ سـمـعـيـةـ؛ـ فـأـنـاـ أـجـيـبـهـمـ إـلـىـ ذـلـكـ كـلـهـ وـأـبـيـنـهـ بـيـانـاـ يـفـهـمـهـ الـخـاصـ وـالـعـامـ أـنـ الـذـيـ أـقـولـهـ:ـ هـوـ الـمـوـافـقـ لـضـرـورـةـ الـعـقـلـ وـالـفـطـرـةـ، وـأـنـهـ الـمـوـافـقـ

(١) قاله الشيخ عايد بن خليف الشمري؛ فرغته من «شرح كتاب الشريعة - للإمام الأجري».

(٢) «غاية الأماني في الرد على النبهاني» للألوسي (١٤/١).

للكتاب والسنّة وإجماع سلف الأمة، وأن المخالف لذلك هو المخالف لصريح العقول، وصحيح المقبول؛ فلو كنتُ أنا المبدئ بالإنكار والتحديث بمثل هذا؛ ل كانت الحجّة مُتوجّهة عليهم، فكيف إذا كان الغير هو المبدئ بالإنكار: ﴿وَمَنْ أَنْتَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُفْلِتَكَ مَا عَيْتُمْ مِّنْ سِيلٍ﴾

(٤١) [الشورى].

وإلا: «فإني أقبل كلَّ من يُبَيِّن لي فسادَ ما ذهبتُ إليه وأعدُه أخا لي ناصِحاً، وأذكُرُه بقول من قال: «رحم اللهُ امرءاً أهدى إلينا عيوبنا»^(٢) على شريطة أن يرُدّ علىَ من جنسِ الأدلة التي تُعتمد، ولا يفعل كما فعلَ بعضُ المروّجين للبضاعةِ من الاستدلال بأقوابِ الرّجال؛ فإنَّ مَنْ رام الاعتماد على غلطاتِ الرّجال لم يُعدَم دليلاً لأيّ شنعة.

إنَّما الأدلة التي أخضعُ إليها وأهتدى بها هي التي تأتي من الحجّية، وإذا جاءني بكلام لا يُعرفُ له وجهاً عند أرباب الصناعة بالأخبار والآثار؛ فإني أعدُ كلامه ساقطاً عنَّ أممٍ^(٣)، لا يحتاج إلى الرّدّ.

والحمد لله رب العالمين؛ سائلاً له -جلَّت قدرُته- الإخلاص والسداد للخلاص من حظّ النفس؛ إنَّه خيرُ مسؤول، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نبيِّنا محمدٍ وآلِه وأصحابِه وإخوانِه.

وكتب

عبد الغني بن ميلود الجزائري

مساء يوم ٢٠ شعبان ١٤٣٤ هـ

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣/٢٤٥-٢٤٦).

(٢) هذا القولُ يُروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رض.

(٣)قصدُ والطريقُ البين.

يقال
مقدمة في الامر

ولكته الشّغب المعهود

ولا جدید!

الكتاب

الأوامر

□ قال سماحة الوالد؛ الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله:

«ومتي سكت أهل الحق عن بيان أخطاء المُخاطئين وأغلاط الغالطين لم يحصل فهم ما أمر الله به من الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعلوم ما يترب على ذلك من إثم الساكت عن إنكار المُنكر وبقاء الغالط على غلطه والمخالف للحق على خطئه، وذلك خلاف ما شرعه الله سبحانه من النصيحة والتعاون على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، والله ولي التوفيق».

«تبيهات على ما كتبه الصابوني»